الباب السادس

مملكة كوش

١ ــ العصر النبتى

٧٥١ ــ ٢٩٥ ق ٠ م

ان تاريخ كوش يمكن أن يقسم طبقا لموقع اهرامات ملوكها الى قسمين : مملكة نبته حتى سنة ٢٩٥ ق ٠ م ٠ ومملكة مروى حتى سنة ٣٥٠ م ٠ "ما من ناحية زمن نقل العاصمة نفسها من نبته الى مروى فالاحتمال كبير انه تم فى زمن الملك اسبلتا Aspelta (٥٩٣ ــ ٥٦٨ ق ٠ م ٠)

ولقد أمدتنا المصادر التاريخية التى عثر عليها فى كوة وجبل البركل على وجه الخصوص ، بالاضافة الى عديد من الآثار عثر عليها فى كل من مصر والسودان ، الى جانب ما ورد فى تاريخ مانيتون (١) ضمن المصادر الكلاسيكية التى نقلت عنه بطرف من كفاح مملكة كوش تحت زعامة لبيت الحاكم فى نبته ، الذى تمكن من توحيد مصر والسودان القديم فى الفترة بين سنتى ٧٥١ ــ ٦٥٦ ق ٠ م ٠

تثبيت دعائم الدولة ، وفتح مصر

ولعل اقدم ذكر لأحد رؤساء تلك الدولة ان يكون عن « الرا » Alara

---

(١) مانيتون هو مؤرخ مصرى كان يعمل كاهنا لايزيس بمعبدها فى بهبيت الحجر بوسط الدلتا فى زمن الملك بطليموس الأول . الذى كلفه عام ٢٨٦ ق ٠ م ٠ بكتابة تاريخ لمصر من وثائق المعابد . والذى قسم تاريخ مصر الى ثلاثين اسرة حاكمة .

فلقد كتب اسم « الرا » ويقرا أيضا الول Alul داخل طغراء الملك على لوح يخص ابنته الملكة « تابيرى » [اللوح بمتحف الخرطوم رقم ٩٥١] (٢) الزوجة الأولى للملك « بعنخى » . كما ذكر نفس المصدر السابق أن زوجة الرا هى « كازقة » Kasqet . وتحدثت النصوص لتى عثر عليها فى كوه عن مدى قوة « الرا » وعن سلوكه الطيب فيما يتعلق بالمعبود آمون : الذى اتخذته الأسرة النبتية معبودا رسميا ، تماما كما كان الحال أيام ازدهار الحضارة فى طيبة (٣) . وفى لوحة تخص الملك طهارقه عثر عليها فى كوه جاء ذكر الرا ، وأطلق عليه لقب الزعيم أو « الرئيس ابن الشمس الرا » (٤) . وذلك فى معرض الحديث عن اعادة بناء معبد طهارقه فى كوه بوساطة نبلاء استدعوا خصيصا من منف ، واللوح يحمل رقم ٢٦٧٨ الخرطوم ويؤرخ بالعام السادس من حكم الملك طهارقه ، الذى صور على اللوح فى مواجهة آمون وعنوقيس احدى آلهة ثالوث منطقة النوبة السفلى . ولا جدال فى ان مقبرة « الرا » تقع ضمن مقابر أسلاف ماوك نبتة فى « الكرو » وعددها ١٣ مقبرة تمتد على مدى خمسة أجيال ، تنتهى قبل قيام الأسرة المذكورة مباشرة ، وهى نفس المرحلة التى أغفلتها المصادر التاريخية فيما يتعلق بتاريخ السودان . وورد ذكر الرا فى لوحة الملك نستاسن Nastasen ؛ فعلى قمة اللوح الجرانيتى صور الملك نستاسن وأمه الملكة بلخا Pelkha . وفى سياق النص الهيروغليفى المدون على اللوح ورد ذكر الرا ، الذى كتب داخل لعلامة المخصصة لأسماء الماوك مع كلمة بعنخى . ويحتمل ان الكلمة الأخيرة معناها هنا « الحى » فقط دون اشارة الى الملك بعنخى المعروف . وهذا اللوح محفوظ بمتحف برلين الشرقية تحت رقم ٢٢٦٨ ، وربما جاء أصلا من جبل البركل ، حيث كان قائما فى معبد الاله آمون (٥) .

---

(٢) انظر اللوحة رقم ٧ .

(٣) Macadam. Kawa I. Text. 123.

(٤) Macadam. Kawa I. Text. Stela of King Taharqa, p. 15-16 ard pl 8; Porter and Moss VII, p. 187 ; Priese. Der Beginn der kuschitiscen Herrschaft, ZAeS. 98, p. 22 ff.

(٥) Porter and Moss VII. p. 193.

كما جاء ذكر الرا على لوح آخر لطهارقة مؤرخ بالعام ٨ — ١٠ من حكمه وهو خاص بالمنح التى أغدقها طهارقه على المعبود آمون رع (٦) .

وعلى الجزء الأسفل من الحائط الشرقى للمعبد رقم ت ؛ T والذى بناه طهارقه للاله آمون فى كوة نص طويل يرجع الى العامين الأول والثانى من زمن الملك أمانى — نتيركا Aman-nete-Yerike (٤٣١ — ٤٠٥ ق . م .) يذكر فى سياقه اسم سلفه الرا واسم الملك طلخمانى (٤٣٥ — ٤٣١ ق . م .) (٧) .

فبالرغم من الأهمية الكبيرة التى أعطتها المصادر التى تلت عصر الرا Alara لهذا الحاكم فانه لا يعتبر مؤسس الأسرة الفعلى وانما يرجع الفضل فى ذلك الى أخيه كاشتا Kashta خليفة « الرا » أو آلول Alul ، وزوج اخته بابتما Pebatma . وربما كانت القاعدة المتبعة تقضى بأن تكون وراثة العرش من نصيب الأخ بعد وفاة أخيه ، ثم تؤول بعد ذلك الى الابن الأكبر للأخ الأول ، وهكذا ، على أن هذا التقليد لم يتبع فى أحيان كثيرة ، ولا ريب فى أن ذلك التقليد فى وراثة العرش انما مرجعه الى تقاليد محلية موروثة . ولقد حمل « كاشتا » لقب ملك ، بعكس سلفه . وعند توليه العرش حمل لقب « نى — ماعت — رع » . وهو اسم جديد يحمله الملك عند بلوغه العرش — على عادة ملوك مصر القدماء . ولعله دفن فى المصطبة رقم ٨ بالكرو .

وضمن آثار كاشتا القليلة أحد النصوص من وادى حمامات بالصحراء الشرقية (٨) يذكر « العام الثانى عشر للملك كاشتا » ، ثم يذكر اسم «المتعبدة» أو الزوجة الالهية (Dewat-Noter) امنرديس (عطية آمون) ابنة الملك « كاشتا » ، وهو نظام استحدثه ملوك الأسرة الحادية والعشرين

---

(٦) Porter and Moss VII, p. 187,188.

(٧) Macadam. Kawa I. pls. 17-26 ,pp. 50-67.

(٨) L.D. Abt. V. Bl. I, e.

من قبل لفرض سيطرتهم على اقطاع كهنة آمون فى طيبة . فكان الملوك يعينون احدى بناتهم فى منصب الزوجة الالهية لآمون ، لكى تمسك فى يدها بزمام الكهانة فى طيبة والجدير بالذكر ان هذا اللقب « المتعبدة الالهية » كان من اهم الألقاب الكهنوتية .

وهناك ايضا احد الأختام (٩) ، وفيه يرد اسم « المتعبدة الالهية امنرديس المرحومة ابنة الملك سيد الأرضين كاشتا (مكتوبا داخل طغراء الملك) المعطى الحياة الى الأبد » ، وأمام النص صورة لشخص راكع فى وضع المتعبد . وفى متحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية قطعة من اعيشانى تخص الملك كاشتا عثر عليها على سلم الهرم رقم ١ بالكرو (١٠) . ويحتمل ان المقبرة رقم ٨ فى الكرو هى مقبرة الملك كاشتا ، وتأتى فى الترتيب الزمنى مباشرة بعد المقابر التى تغطى مرحلة الخمسة الأجيال السابقة على قيام ذلك البيت الحاكم فى نبته (١١) . وبالقرب منها تقع مقبرة زوجته المدعاة بابتما Pebatma رقم ٧ ، هذا ولم يكن كاشتا يدعى كل القاب ملوك مصر ، مع العلم أنه استطاع التقدم بجنده السودانيين نحو الشمال ، واستولى على مدينة طيبة وعلى جزء من صعيد مصر ، ثم أجبر الملك الليبى أسر كون الثالث ، الذى كان يحكم فى طيبة على التقهقر الى الدلتا ، كما أرغم ابنه ذلك الملك الليبى اسر كون الثالث Oserkon III المدعاة شبنؤبة لأولى ، Shepenupet والتى كانت على رأس كهنة آمون فى طيبة — على تبنى ابنته هو وأخت الملك بعنخى الذى سيرد ذكره المدعاة امنرديس الأولى (عطية آمون) Amenirdis ، بهدف السيطرة على كهنة آمون وعلى املاكه ، وحملت بذلك لقب المتعبدة أو الزوجة الالهية Dewat-Noter ولأمنرديس (الأولى) هذه تمثال رائع بالمتحف المصرى رقم ٥٦٥ (١٢) ، برداء شفاف

---

(٩) Davies and Macadam, A Corpus of inscribed Egyptian Fumerary Cones. 1, 1957, No. 584.

(١٠) Dunham and Macadam, Relationships of the Royal Family at Napata, JEA 35 p. 144. pl. XV.

(١١) Dunham, Kurru. p. 2-3.

(١٢) أنظر اللوحة رقم ٨ .

الملكة امنرديس (عطية آمون)
ابنة الملك كاشتا والد الملك بى (بعنخى)

يصل الى القرب من القدمين ، وفوق الرأس غطاء فريد فى نوعه ، فعلى الشعر المستعار تاج مستدير يتكون من زخرفة على هيئة افريز من الثعابين يحيط بالرأس . وعلى الجبهة ثلاثة ثعابين فى حجم أكبر ، بينما تمسك الأميرة بيدها اليسرى صولجانا ، أما اليمنى فتقبض على منديل ، والمثال منحوت من حجر الألبستر (المرمر المصرى) الأبيض الشفاف ، والأنف مكسورة منه قطعة ، والأذنان يتحليان بقرط مستدير كالقرص ، فيه اكثير من قرط الملكة تى زوجة الملك أمينوفيس الثالث من الدولة المصرية الحديثة .

وبالمتحف المصرى أيضا تمثال صغير من الجرانيت الأشهب (رقم ٦٠١) لامنرديس الأولى مسجل عليه اسم ولدها الملك كاشتا ، عثر عليه فى « مدينة هابو » بطيبة الغربية .

وفى « متحف الفن الغربى والشرقى » بمدينة كييف Kiev بالاتحاد السوفيتى تمثال (رقم ١٢٨) من الجرانيت الأسود (١٣) ارتفاعه ١٦ بوصة لأحد المرظفين ، وعليه القاب صاحبه ، وعلى كل ذراع نقش اسم الاميرة امنرديس الأولى داخل طغراء الملك .

وأصبح الملك كاشتا فى موقف الأقوى بعد ضمه لطيبة ، ولجزء من صعيد مصر ببلوغه أسوان الى مملكته نبته . كما هو واضح من قطعة من لوحة مهداة الى آلهة منطقة الشلالات عثر عليها فى الفنتين وتحمل رقم JE 41013 بالمتحف المصرى انظر LAe III 3, 353, 1978. ويحتمل أن يكون ذلك الملك السودانى هو الذى بدأ باقامة المعبد رقم ب ٨٠٠ فى حضن جبل البركل ، الا أنه توفى عام ٧٥١ ق . م . (١٤) .

وكانت مدينة نبته جنوبى الشلال الرابع شرقى النيل هى عاصمة تلك الدولة عند موقع المدينة الحديثة مروى (بخلاف مروى القديمة التى

---

(١٣) R. Hoss. A Statue of an Ambassador to Ethiopia at Kiev, Kush VIII p. 269-271.

(١٤) وهو نفس لتاريخ الذى اتفق على اعتباره تاريخ تأسيس مدينة روم .

يدعى حاليا (البجراوية) . أما أماكن الدفن فاختار لها ملوك تلك الأسرة مكانا مشرفا فى الغرب عند الكرو ، تماما كما كان الحال فى طيبة عاصمة المملكة المصرية فى الدولة الحديثة ، والملاحظ ان اختيار مكان نبته لتكون عاصمة للدولة يقوم على اساس جغرافى سليم . فهناك يتسع السهل الزراعى نسبيا ويسهل الاتصال ببقية انحاء السودان القديم . فبالجنوب يصلها النيل والطريق البرى الذى يبدأ عند « ابو دوم » ويخترق الصحراء بيوضة حتى يصل الى شندى ، وبالشمال يربطها النهر والطريق البرى المحاذي لـه .

ويعتقد أن نبته كانت فى الأصل مركزا من المراكز الحضارية التى أقامها ملوك الدولة الحديثة المصرية كما سبق أن ذكرنا .

وخلف الملك « كاشتا » لابنه وولى عهده « بعنخى » Pianky (١٥) (٧٥١ — ٧١٦ ق . م) مهمة اتمام ما بداه ، لفتح شمال الوادى وتوحيده تحت زعامة نبته ، ومن قبل اشرنا (ص ٩٥) الى أن اسم بعنخى من الأسماء المصرية القليلة التى حملها أفراد البيت الحاكم فى نبته ، واسمه مشتق من كلمة « عنخ » = الحياة ولعل معناه « الحى » ، وكان هذا الاسم معروفا فى مصر منذ زمن الأسرة الحادية والعشرين المدفونة ، حيث حمله الأمير « بعنخى » ابن الملك « حريحور » عاهل تلك الأسرة . والذى عينه والده نائبا له فى كوش ، ويعتقد انه آخر من حمل لقب « نائب الملك فى كوش » حينذاك (١٦) . كما حمل بعنخى ضمن القابه لقب « من — خبر — رع » وهو نفس اللقب الذى حمله ملك مصر تحوتمس الثالث عاهل الدولة الحديثة . وبعد ذلك حمل بعنخى اللقب « وسر — ماعت — رع » ثم « مسترى — رع » .

ولقد وصلت الينا أنباء فتح الملك بعنخى لمصر ، ضمن مجهوداته لتوحيد

---

(١٥) يقرأ حاليا بى Peye

(١٦) قارن ص ٨٢ .

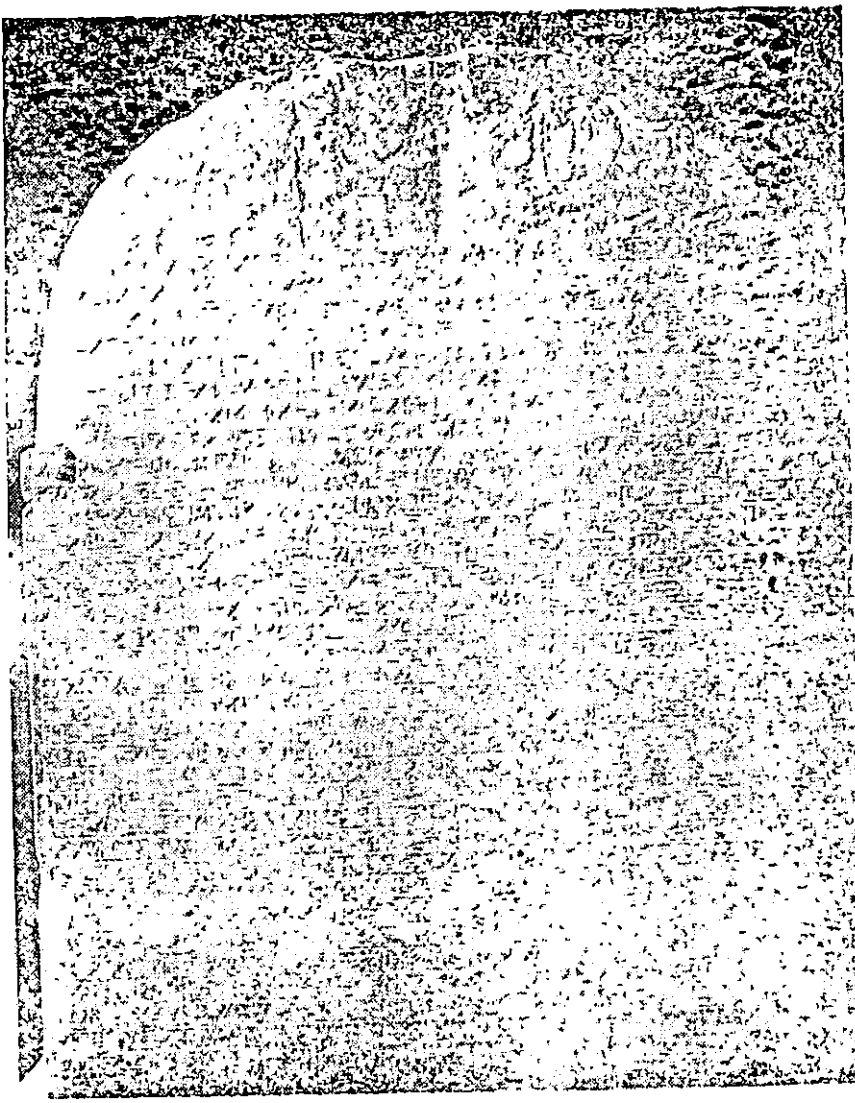

لوحة الملك بى (بعنخى)

الوادى تحت لواء نبته مسجلة على لوح حجرى ضخم (١٧) (١ر٨ × ١ر٨٤ مترا) عثر عليه عام ١٨٦٢ م فى معبد آمون بجبل البركل ونقل الى متحف القاهرة رقم (٤٨٨٦٢) ، والصقت به أربع قطع صغيرة وجدت مكسرة مع اللوح الذى امر الملك باقامته فى رحاب آمون فى عـام حكمه الحـادى والعشرين ، تخليدا لعمله التاريخى العظيم . وفى قمة اللوح المتوج بقرص الشمس المجنح صور الملك « بعنخى » واقفا أمام الاله آمون الجالس على عرشه ، ومن خلف زوجتـه تقف المعبودة « نوت » ربة السماء . وعلى اللوح وصف مسهب لسير الوقائع الحربية ، كما يحتوى اللوح على معلومات قيمة عن معتقدات الأسرة السودانية الحـاكمة فى نبتة ، وعلى طرف من تقاليد ملوكها ، بالاضافة الى معلومات جغرافية عن المناطق المصرية التى قام جيش الملك بعنخى بفتحها (١٨) .

وحينما امر بعنخى قواته بالتقدم شمالا لاعادة الأمور الى نصابها فى مصر ، كان يوصيهم خيرا بمدينة آمون فيقول :

« اذا ما وصـلتم مدينة طيبة ، وواجهتم معبد الكرنك ، فانزلوا الى الماء وتطهروا فى النهر ، ثم ارتدوا ملابسكم قبل ان تخرجوا الى الشاطىء ، فالقوس ، وفكوا السهم دلا تتباهوا « تتفاخروا » بعظيم تباهيكم برب القوة (آمون) ، فليس هناك من شجاعة شجاع بدونه ، فهو يجعل من الضعيف قويا ، ويجعل الكثرة تعطى ظهرها للقلة ، والرجل الفرد يغلب ألفا ، وانثروا مياه قرابينه ، وقبلوا الأرض بين يديه ، وقولوا له : اهدنا الطريق (القويم) ، فكلنا يحارب فى ظل بأسك ، فالجيش الذى تقوده ينتصر ، وتخضع له الكثرة » . وتجيب قوات الجيش على الملك بعنخى بعد أن يلقوا بأنفسهم أمام جلالته « ان اسمك هو الذى يعطينا القوة . وتعليماتك هى التى ترشـد جيشك ، فخبزك لا يزال فى بطوننا على كل طريق ، وشرابك (بيرتك) يروى ظمأنا . وقوتك هى التى تمنحنا الطاقة . والمرء يفزع خشية

---

(١٧) انظر اللوحة رقم ٩ .

(١٨) Sethe, Urk. III, 1 ff

اذا ما ذكر اسمك . ولن ينتصر جيش وقائده جبان . فمن ذا الذى يشبهك ؟ انك ملك قوى نشيط وقائد لجيش مدرب » . وكانت دلتا النيل وصعيد مقسمة الى وحدات سياسية عديدة مستقلة يحكمها ليبيون يحملون ألقاب الملوك والأمراء . بينما بقى صعيد مصر تحت زعامة طيبة فى يد أسرة مصرية .

وهناك الجديد مما يمكن أن يقال عن قراءة اسم الملك بعنخى . فالاسم كان يقرأ حتى الآن على أنه مكون من : العلامات الهيروغليفية : ب + عنخ + ى . ومع أن هذا الاسم كان معروفا فى مصر ، وحمله من قبل بعنخى ابن الملك حريحور مؤسس الأسرة الحادية والعشرين . الا أن الباحث الألمانى « بروزا » يرى أن الاسم ينطق بى Peye فقط ، وليس بعنخى ، على اعتبار أن علامة الحياة (عنخ) التى تكون جزءا من الاسم هى مجرد اضافة وضعت للتمنى بطول العمر لصاحب الاسم ، كما حدث فى بعض الأسماء الملكية الأخرى .

ومعبد آمون بجبل البركل (B-500) وضعت نواته فى الدولة الحديثة المصرية ثم قام بعنخى باعادة بنائه ، ووسع قاعاته ليكون على غرار معابد آمون الأخرى المقامة فى شمال الوادى ، فعلى جانبى المدخل اقيمت ستة تماثيل جرانيتيه للكباش ، رمز الخصب ، والرمز المقدس للمعبود آمون ، وهى تحتضن تماثيل صغيرة للملك امينوفيس الثالث نقلها بعنخى من « صلب » الى نبته ، وعلى البوابة الخارجية مثل الملك فى تصوير رمزى ينقض على الأعداء ، بقى من الرسم بعض النقوش السفلية فقط ، وبينما ندثر معظم الأثر ، فما زالت صورة احد الأسرى الاغريق باقية (١٩) ، وتتكرر البوابات الضخمة الواحدة تلو الأخرى تصل بين قاعات المعبد المتعددة ، قبل الوصول الى قدس الأقداس ، حيث كان يقوم تمثال المعبود آمون والذى لم يبق منه سوى القاعدة الحجرية التى كانت تحمل ذلك التمثال .

---

(١٩) وهم أولئك الجنود المرتزقة الذين اعتمدت عليهم الأسرة السادسة والعشرين فى مصر ، التى دخل ملوكها فى صراعات مع ملوك نبته ، وقد بدأوا منذ ذلك الحين فى تكوين جالية اغريقية كبيرة فى مصر .

وقد عاصر هذا المعبد أيام ازدهار الحضارة زمن ملوك نبته ومروى ، وعثر فيه على ألواح جرانيتية فى غاية الأهمية منها لوح فتح مصر للملك بعنخى (المتحف المصرى رقم ٤٨٨٦٢) ، ولوح الحلم للملك تانوت أمانى (رقم ٣٨٨٦٤) (٢٠) ولوح الملك حورسيوتف ، ولوح الملك تانيد أمانى (برسطن 23, 736) والمكتوب بالخط المروى المبسط ، ولوح يخص الملكة سخمخ Sakhmakh زوجة الملك نستاسن (متحف الخرطوم رقم ١٨٥٣) (٢١). وكانت العادة المتبعة أن تقام فى المعابد الهامة النصب الحجرية يدون عليها الأحداث الهامة تخليدا لصاحبها . (انظر لوحه رقم ١٠ .)

وبعد وفاة الأميرة الكاهنة — أمنرديس الأولى ابنه الملك كاشتا ؛ المبينة على كهنة آمون بطيبة ، نصب بعنخى ابنته ، بعد أن حملت لقب شبنؤبة الثانية ، لتحل مكانها ، وتشرف هى وعمدة طيبة المدعو « منتوحات » على ضياع آمون المقدسة فى اقليم طيبة . وفيما بعد انتقل المنصب عن طريق التبنى أيضا الى أخت الملك طهارقه المدعاة أمنرديس الثانية ، وهى التى اضطرها أول ملوك الأسرة السادسة والعشرين بساماتيك الأول الى تبنى نيتوكريس ، لينتقل اليها الملك فى طيبة ، وكانت آخر تلك السلسلة من زوجات الاله أو المتعبدات الالهيات ابنة الملك بساماتيك الثانى المدعاة . عنخ — نس — نفر — ايب — رع Anchnes nefer ibre وذلك قبل دخول الفرس وفتحهم لمصر (٢٢) .

وفى زمن الأسرة الخامسة والعشرين أصبحت المتعبدات الالهيات هن الحاكمات الفعليات فى طيبة ، بينما صارت وظيفة كاهن آمون الأكبر مجردة من السلطة عمليا .

وضمن مقابر المنكات بالكرو عثر على خمسة مقابر لزوجات الملك

---

(٢٠) انظر باب الصراع بين مملكة وادى النيل وبين الامبراطورية الآشورية ص ١٤٠ من هذا الكتاب .

(٢١) Porter-Moss VII, 215 ff.

(٢٢) انظر Helck-Otto. Kleines Wörterbuch. S. 125/126.

معبد آمون بجبل البركل

بعنخى ؛ عرف منهن : « نفروكا ــ كاشتا » ، « تابيرى » ، « بكساتر » (٢٣) Peksater ، وكنزه . Kensa

وبعد أن استطاع الملك بعنخى فتح مدينة منف عند رأس الدلتا فى منتصف عام حكمة العشرين ، تقبل الولاء من جميع أمراء وملوك الدلتا ومصر الوسطى من قواد الجيش الليبيين وبعض الأمراء المصريين . ثم أعلن نفسه ملكا على مصر كلها ، وقفل راجعا الى نبته عاصمته الأولى فى نهاية عام حكمه العشرين . حيث أمر بتخليد أعماله على لوحه الشهير وذلك فى العام الحادى والعشرين من حكمه .

ولكن الأمور تطورت فى مصر بسرعة مذهلة ، اذ استغل الفرصة احد أمراء الدلتا ويدعى « تف ــ نخت » Tef-nakhte (٧٣٠ ــ ٧٢٠ ق . م) وأعلن نفسه ملكا على مصر متخذا من مدينة سايس (صا الحجر) بالدلتا عاصمة لأسرته ، التى اعتبرت الأسرة الرابعة والعشرين فى تقسيم المؤرخ المصرى مانيتون ، وخلف « تف ــ نخت » على العرش فى مصر ابنة باكنرنف Baken-renef ومعناه بالمصرية « مولى أو ربيب اسمه ، أى اسم الاله » والذى أطلقت عليه المصادر الاغريقية اسم « بوخوريس » Bochoris . كما تحدثت عنه المصادر الكلاسيكية ، ونسبت اليه أعمالا كثيرة لا نملك الدليل لتأييدها ، فقد ذكر المؤرخ ديودور مثلا أن بوخوريس كان مشرعا للقوانين ، ولكن حكم بوخوريس لم يستمر طويلا (٧٢٠ ــ ٧١٥ ق . م .)، حين أقبل الملك شباكو Shabako (٧١٦ ــ ٧٠١ ق . م) خليفة بعنخى نحو الشمال وأعاد فتح مصر كلها ، وذكر المؤرخ مانيتون أن الملك شباكو قام بحرق الملك بوخوريس (٢٤) ، وأنهى بذلك حكم الأسرة الرابعة والعشرين . ولكننا لا نملك الدليل على صحة قول هذا المؤرخ . مع العلم أن عادة حرق

---

(٢٣) K. H. Priese Nichtägyptische Namen u. Wörter. S. 176/177 in Mitt. des Instituts für Orientforsehung Band XIV Heft 21, 968 Berlin. وبكساتر هى ابنة كاشتا .

(٢٤) Otto Aegypten S. 228.

البشر عموما لم تمارس بأى شكل خلال التاريخ الطويل لوادى النيل مصره وسودانه . وفى مقبرة اترسكية (والأترسك هم مجموعة قبائل قديمة تعتبر ضمن اهم المجموعات البشرية التى تألف منها الشـــعب الرومانى القديم) عثر على اناء تدل رسومه على وقوع قتال بين بوخوريس وبين السودانيين . (L. Aex 1, 6, S. 846, Bokchoris)

واطلقت المصادر الاغريقية على شبلكو اسم شباكون Sabacon ، وكان يحمل اللقب المصرى « نفر — كارع » (روح رع الطيبة) الذى حمله من قبل الملك بيبى الثانى من ملوك الأسرة السادسة المصرية .

وورد اسم شبكو على أحد أعمدة الفناء الداخلى لمعبد ب B المخصص لآمون فى مدينة كوه ، ضمن نص خاص بنفس الملك (٢٥) .

وفى جبانة الخيل بالكرو عثر على ثمانية دفنات لخيل تخص الملك شباكو . من البرونز ربما خصص لوضع علامات بالحرق على الماشية . وعليه اسم الملك شباكو داخل خرطوش عثر عليه فى أمنتقو أو امنتجو Amentago شرقى النيل بالقرب من جزيرة الملك شمالى دنقلة العجوز (٢٦) .

وشباكو هو صاحب الهرم رقم ١٥ بالكرو [فى تقسيم بورتر ، موس Porter-Moss] وقـــد عثر بداخله على مائدة قرابين من الجرانيت الأشهب (متحف الخرطوم رقم ١٩٠٤) وعلى قطعة من مائدة قرابين أخرى من القيشانى ، وكلاهما عليه نصوص ، وهناك أيضا عثر على مرآة من البرونز ذات مقبض من خليط الذهب والفضة على هيئة النخيل محاط بتماثيل للآلهة ومحفوظ بمتحف بوسطن رقم 21, 318 وبقايا أخرى (٢٧) .

وفى جبانة الخيل بالكرو عثر على ثمانية دفنات لخيل تخص الملك شباكو وحـــده .

---

(٢٥) Porter-Moss VII, p. 184.
Kawa 11 pl. Xli and figs. 11. 12. 14 cf. i. p. 91.

(٢٦) وهى كلمة نوبية قديمة .
Porter-Moss VII. p. 192.

(٢٧) Porter and Moss VII p. 196.

وعلى بعد حوالى نصف كيلو متر من معبد آمون رع الذى اقامه طهارقه فى « صنم » Sanam: عثر على خاتم للملك شباكو [محفوظ بمتحف برلين] ضمن ختام للملك بعنخى واسبلتا ومنخبررع (تحوتمس الثالث ؟) مع آثار أخرى موزعة على متاحف العالم ، وفى متحف الخرطوم جعل (جعران) عليه اسم الملك شباكو يحمل رقم ٣٦٤٣ عثر عليه فى « سنار » .

والى الجنوب الغربى من سنار بحوالى ٢٩ كم عند الموقع المعروف « بجل مويه » عثر على اسم الملك شباكو على لوحة تذكارية صغيرة من أنفياس (القيشانى)(٢٨) ..

أقام الملك شباكو فى معبد الكرنك فى مصر أجزاء معمارية هامة (٢٩) .

وفى الكرنك أيضا أرخ تسجيل ارتفاع مياه الفيضان بالعام الثانى من حكم « الملك شباكو ملك الشمال والجنوب » (٣٠) .

وفى السرابيوم مدفن العجول المقدسة بسقارة (رمز المعبود أبيس — بتاح معبود مدينة منف) ما يشير الى أنه فى العام الثانى من حكم شباكو تم دفن أحد تلك العجول فى احتفال كبير قرب نهاية الطرف الشمالى للسرابيوم ، داخل غرفة خاصة متفرغة من السرداب المخصص لدفن العجول ، حيث عثر على اسم الملك شباكو على جدران غرفة دفن ذلك العجل (٣١) .

---

(٢٨) Porter-Moss, VII, p. 273.
Addison, Jebel Moya, i. p. 118.

(٢٩) Leclant, Bibliotéque D'Etude, T. xxxvi (1965)' planches, pl. VI, 7. Colonnade au Nord-Est de la salle hypostyle, pl. VII Trésor de Chabaka au Nord du Grand temple d'Amon de Karnak.

Leclant, Recherches sur les monuments Thébains de la XXVe Dynastie Dite Ethiopienne, Bibliothèque d'Etude, T.xxxvi.

(٣٠) Vercoutter, «Napatan Kings and Apis Worship», Kush VIII p. 66 Note 27.

(٣١) Vercoutter, op. cit., Kush VIII p. 65.

وبالمتحف المصرى أثر صغير ٧ر٠ × ٧ر٠ مترا يحمل رقم ٦٧٩٧٩ر٩ عليه اسم الملك « ابن الشمس شباكو » ولقبه ملك الجنوب والشمال « نفر كارع » ولا سوى ذلك . ولا يعرف مكان العثور عليه ، ولكنه دخل المتحف المصرى ضمن مجموعة الآثار التى أهداها الملك فؤاد الأول للمتحف سنة ١٩٣٦م ، واعتقد أن هذا الأثر لم ينتشر حتى الآن (٣٢) . فى وادى حمامات بين النيل والبحر الأحمر أرخ أحد الرجال لبعثته بالعام الثانى عشر من حكم الملك شباكو ، وكانت أمنرديس قيمة على شئون الكهانة وقتذاك فى طيبة . كما عثر على اسم الملك طهارقة ايضا فى نفس ذلك الوادى (٣٣) .

وفى الواحة البحرية فى صحراء مصر الغربية عثر على احدى القطع الحجرية عليها كتابات ضمنها اسم شباكو ، وكانت خاصة بمقصورة للملك طهارقة تم نقلت ليعاد استعمالها فى المساكن الحالية لأهالى الواحة (٣٤) .

وفى تونس فى المنطقة القريبة من (قرطاجة) عثر على قطعة من الصلصال عليها اسم شباكو (٣٥) .

وفى المتحف البريطانى نص قديم جدا (رقم ١٣٥) ، أسطورى المحتوى (Mythological text) عثر عليه فى منف ، ويتضمن أجزاء من اسطورة ايزيس وأوزيريس (٣٦) كان شباكو قد أمر باعادة صياغته .

وفى المتحف المصرى جزء من تمثال يمثل الرأس بتاج الوجهين وغطاء الرأس الملكى من الجرانيت الأحمر (C.G. 42010) .

---

(٣٢) انظر اللوحة رقم ١١ .

(٣٣) Porter-Moss VII p. 334, 335.

(٣٤) Fakhry, Baharia Oasis, II, pp. 73-80 with figs 53-64, and pls. X, XIVII.

(٣٥) Vercoutter, Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois, pl. XXIV (877) and pp. 262-3.

(٣٦) ZAeS 39, Taf 1, II. نقلا عن قاموس برلين الكبير . وهى قصة الصراع بين الخير والشر .

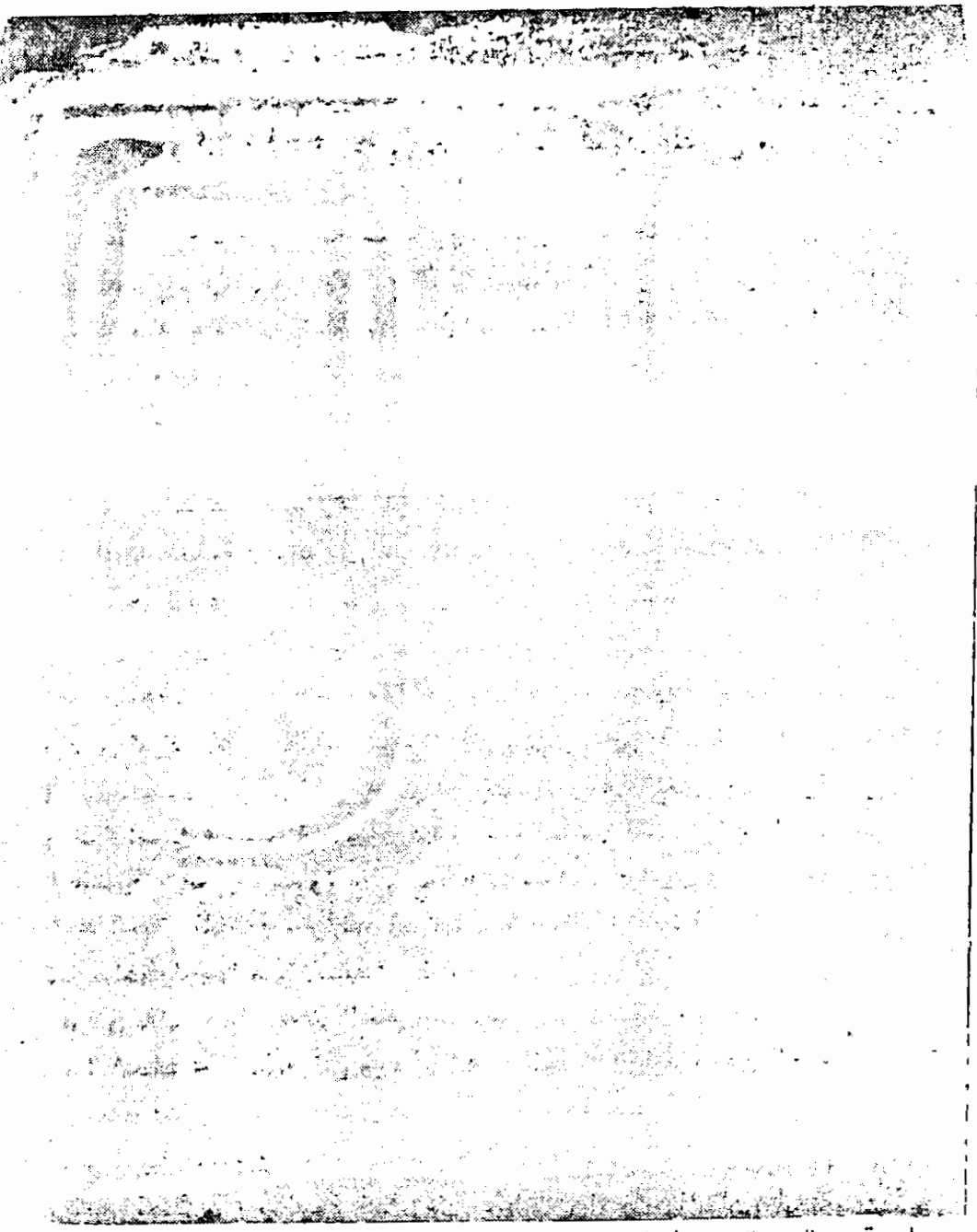

لوحة من القيشانى تحمل اسم « ملك الجنوب والشمال الملك شباكو »
ولقبه « ابن الشمس نفر كارع » تنشر لأول مرة (المتحف المصرى)

وفى خلال فترة حكم الملك بوخوريس التصيرة فى عمر الزمان سعى ذلك الملك لعقد أحلاف مع أمراء فلسطين لمقاومة الضغط الآشورى . وذكر أنه أرسل جيشا مصريا لتأييد ثورة قامت فى فلسطين . الا أن الملك الآشورى سرجون الثانى Sargon II تمكن من ضرب الجيش المصرى عند رفح .

وهكذا استطاع ملوك نبته السودانيين تأسيس البيت الحاكم الذى عرف فى تاريخ حضارات وادى النيل باسم « الأسرة الخامسة والعشرين » . واستمر افراد ذلك البيت الحاكم فى بناء مقابرهم فى نبتة عند الشلال الرابع ، واعتبروا كلا من منف وتانيس (فى شرق الدلتا) عاصمتين متبادلتين ، وأصبحوا على صلة بأحداث العالم القديم .

وشيد ملوك نبتة مقابرهم على الشكل الهرمى ، الذى عرفته مصر منذ أيام الدولة القديمة فى منف وفى اقليم الفيوم ثم فى جبانة دير المدينة بطيبة ، مستخدمين الحجر النوبى المحلى ، وهو حجر ردىء ضعيف نسبيا اذا ما قورن بالحجر الجيرى ، وكان ذلك سببا فى سرعة تأثرها بعوامل التعرية وضياع معظم نقوشها وتفاصيلها المعمارية . وكانت المجموعة الهرمية لكل فرد من أفراد الأسرة المالكة تتألف من : الهرم مركز المجموعة كلها ، وهو فى حد ذاته مبنى حجرى ليس به أى حجرات أو ممرات ، يلحق به مقصورة صغيرة نسبيا ، وبسيطة التكوين دائما — وذلك من أهم مميزات المعابد الجنائزية للملوك نبته — وكانت مخصصة لاستقبال الزائرين فى مناسبات أعياد الجبانة المختلفة .. وكانت جدرانها مغطاة بالصور الدينية والدنيوية ، كما حملت واجهتها صورا تقليدية للملوك ينتصرون على الأعداء . ويقدمون القرابين للآلهة ، وفى المقابر المتأخرة نسبيا من عصر مملكة مروى نجد صدى كبيرا للمعتقدات المصرية التى وردت فى كتاب الموتى عن البعث وعن الحياة فى العالم الآخر . وكان الدفن يتم عادة فى حجرات تحت سطح الأرض ، بدأت بسيطة التكوين ثم تعددت ، ولكنها كانت تنتهى أسفل مبنى الهرم والمعبد الجنائزى ، وبطبيعة الحال كان يتم اغلاق المدخل والممرات الملحقة بعد الدفن حتى لا تصل اليها أيدى العابثين . والجدير بالذكر أن ملوك

نبتة ومروى حافظوا دواما على ذلك التقليد بالنسبة لبناء المعبد الجنائزى البسيط (المقصورة) الملحق بالهرم . وربما كان ذلك مرجعه الى تقاليد موروثة عن حضارتهم القديمة (٣٧) ..

وتعد جبانة « الكرو » على الجانب الغربى للنيل الى الجنوب من « كريمة » أقدم مناطق الدفن الخاصة بأفراد تلك الأسرة ، وفى ثراها وسدت أجساد أسلافهم الأولين الذين حكموا قبل الملك كاشتا ، والبالغ عددهم ثلاثة عشر . ولقد أدت دراسة مقابرهم بعد كشفها بوساطة ريزنر ودنهام الى معرفة الكثير عن أصل ذلك البيت الحاكم فى نبته . ويعتقد أن مقبرة « آلرا » واحدة من تلك المقابر الثلاثة عشرة . وفى « الكرو » أيضا شيدت أهرامات الملوك بعنخى (وربما كان أول من اتخذ الشكل الهرمى الكامل لبناء مقبرته) ، وشباكو ٧١٦ — ٧٠١ ق . م **وشبتكو** ٧٠١ — ٦٩٠ / ٦٨٩ ق . م ثم مقبرة تانوت أمانى — ٦٦٣ — ٦٢٣ ق . م ، ومقبرة أمه قلهته Qalhata واللتان احتفظتا بألوان نقوشهما الداخلية حتى اليوم .

وفى الكرو الى جانب مقابر أسلاف البيت المالك فى نبتة ، ومقابر الملوك والملكات ، عثر أيضا على مقابر الخيل الملكية ، بلغ عددها أربعا وعشرين مقبرة . وتقع الى جوار مقابر الملكات مباشرة (وهى تحمل الأرقام من Ku. 201 الى Ku. 224 فى حفائر دنهام (٣٨) . وكانت تخص الملوك بعنخى (٤ خيول) وشباكو (٨ خيول) وشبتكو (٨ خيول) ثم تانوت أمانى (٤ خيول) . عثر فى معظمها على بعض عظام تلك الخيل ، وعلى كثير مما كانت تزين وتسرج به . ولوحظ أنها كانت تدفن واقفة بعد أن تحفر الأرض من تحت أقدامها الى أن تستقر بطونها على الأرض ، كما لم يعثر على رأس أى منها ، مما يدعو الى الشك فى أن الرؤوس ربما تكون قد فصلت عن أجسادها قبل الدفن لسبب أو لآخر (٣٩). وفى متحف الخرطوم بعض

---

(٣٧) انظر الشكل رقم ٧ . ولوحة رقم ١٢ .

(٣٨) Dunham. Kurru p. 110 ff.

(٣٩) موضوع التضحية بالخيول الأصيلة لصاحبها الملك أو البطل فى رحلته =

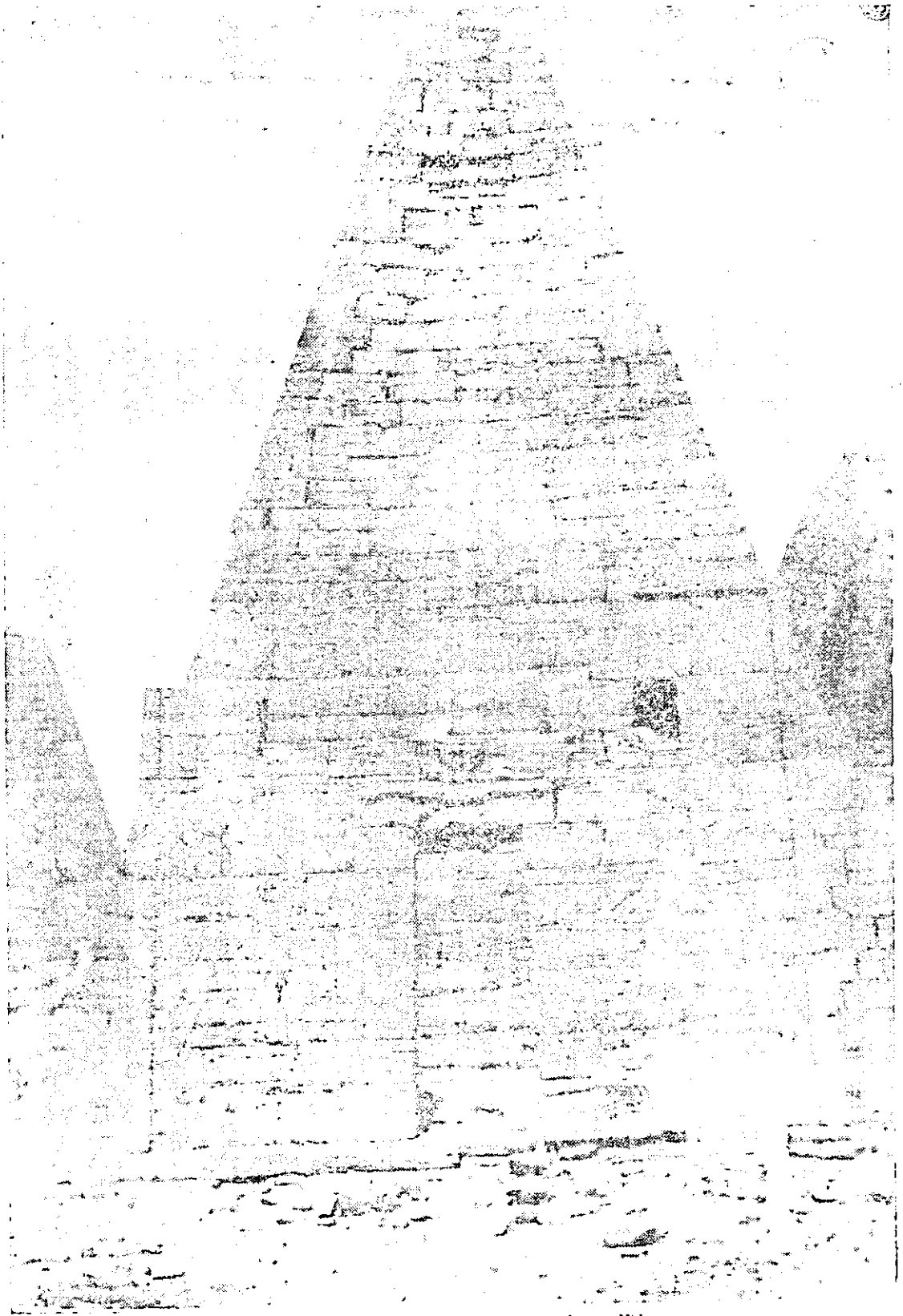

هرم الملك نتك ـ أمانى رته ٢٢ البجراوية مروى

من زينة تلك الخيول تحمل الأرقام من ١٩١٥ — الى ١٩١٨ ، وفى متحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية قطع أخرى (٢١.٥٦٥ر٢١—٢١.٥٦٨ر٢١).

ان ظاهرة اهتمام ملوك نبتة بتربية الخيول لأمر ملفت للنظر حقا . وتجلى ذلك على اللوح التذكارى الملك بعنخى الذى خلد به فتحه لمصر . فعلى القسم العلوى المصور من ذلك اللوح صور جواد خلف الملك « نمرود » Nimrud حاكم اقليم الأشمونين بمصر الوسطى ، (وهو ليبى الأصل) فى مواجهة الملك بعنخى ، كما ورد كذلك فى رواية بعنخى عن فتح مصر على نفس اللوح ، أنه وجه لوما شديدا لأمير اقليم الأشمونين هذا (٤٠) . وذلك بسبب اهماله الشديد للخيول التى وجدها بعنخى فى حالة سيئة جدا بعد فتح المدينة . وتذكر المراجع التى تحدثت عن معبد آمون بجبل البركل أنه شوهدت صور للخيل تخص الملك بعنخى (وذلك قبل عام ١٩٢١ م) على على جدار المعبد فى بهوه الأمامى (٤١) ، الا أن ذلك المنظر قد زال بفعل عوامل التعرية ، وفى أحد أهرامات منطقة نورى — ويحمل رقم ٨ فى حفائر دنهام ويخص الملك أسبلتا (٤٢) — عثر على حلية ذهبية تحمل نصا يشير الى صلتها بزينة الجواد الملكى : « الحصان العظيم لابن الشمس أسبلتا ، ملك الجنوب والشمال مرى — كا — رع » ، ولعلها كانت جزءا من زينة ذلك الجواد . وتجدر الاشارة هنا الى أن ملوك السودان القديم استعملوا نفس الألقاب الملكية المصرية بصرف النظر عن مدلولها وصلتها بالحضارة المصرية ، اذ أصبح لقب « ملك الجنوب والشمال » لا يعنى أكثر من أن

= الى العالم الآخر وأرد فى الالياذة ، وذلك عندما أمر البطل الاغريقى اخيل ، احد قواد الحملة الاغريقية على طروادة فى آسيا الصغرى حوالى ١٢٤٠ ق . م الخيول الأصيلة لتذبح وتوضع لتحرق مع جثة صديقه البطل باتروكلوس الذى صرعه البطل لطروادى هكتور . (انظر ص ٥٩٩ عبد اللطيف أحمد على ، التاريخ اليونانى ، العصر الهللادى الجزء الثانى ١٩٧٤ . دار النهضة العربية — بيروت) .

(٤٠) أنظر لوح الملك بعنخى فى Urk. III. S. 21-22.

(٤١) Porter-Moss VII, p. 216.

(٤٢) Dunham, Nuri, p. 85. 16-4-69.

صاحبه ملك شرعى . وهناك منظر لرجل يمتطى جوادا ومن أمامه سائس ومن خلفه تابع آخر (عثر عليه فى كوه) ، ويعتبر ذلك من المناظر الفريدة التى تشير الى استعمال الخيول للركوب فوق ظهورها بعد أن ظلت زمنا طويلا لا تستعمل الا لجر العربات فقط (٤٢) . وفيما يتعلق بالحضارة المدرية فليس تحت أيدينا ما يخالف هذه القاعدة الا فى حالتين اثنتين واحدة كانت ضمن مقبرة قائد الجيش المدرى فى عهد توت عنخ آمون المدعو حور محب ، وقبل أن يعتلى العرش فيما بعد ، وقد نقل هذا الأثر من المقبرة فى سقارة ليستقر فى متحف بولونيا بايطاليا . أما الثانى لاستعمال الخيل فى الركوب زمن الحضارة المصرية فكان ضمن المناظر التى صورت معركة قادش على معبدى الأقصر وأبى سمبل بين ملك مصر رمسيس الثانى وبين سكان آسيا الصغرى الحيثيين فى سعيهم لتكوين امبراطورية بالشرق القديم .

ومن الطريف حقا أن يكشف رجال الآثار ضمن جبانة الخيول تلك عن قبرين صغيرين (الكرو رقم ٢٢٥ / ٢٢٦) (Ku. 225/226) خصصا لدفن كلبين لعلهما من الكلاب الملكية ، رأى صاحبهما أن دفنهما بهذا الوضع تعبيرا عن حبه ووفائه نحوهما .

ولفت نظرى خلال دراستى ظاهرة اهتمام افراد البيت الحاكم بدفن حيواناتهم الأليفة المحببة لديهم . كالخيول والكلاب . وبالبحث والاستقصاء تبين أن تلك الظاهرة لها جذور عميقة ممتدة نحو الماضى البعيد الخاص بحضارات السودان القديم ، لا يستثنى من ذلك حضارات النوبة السفلى او حضارة كرمة التى ازدهرت فى منطقة النوبة العليا وشمال السودان . مع أن ذلك لم يكن أمره مألوفا لدى جيرانهم فى شمال الوادى . وعند الكشف عن الحضارة التى عرفت قديما باسم « المجموعة الغامضة » — والتى تتفق مع أصحاب الحضارة التى ورثت حضارة مروى والتى عرفت باسم حضارة النباطين — تبين استمرار عادة دفن الخيول الملكية فى أبهى زينتها ، كما ظهر فى حفائر بلانة وقسطل بالنوبة المصرية .

---

(٤٢) Macadam, Kawa II pl. 1 b.

أما آثار الملك شبتكو Shebitku (٤٤) فيمكن ايجازها فيما يلى :

فى جبانـــة الكرو عثر فى المقبرة رقم ١٨ (حسب تقسيم ريزنر) على تمثال صغير مما يعرف بتماثيل المجاوبين يحمل اسم شبتكو ، كما عثـــر فى غرفة الدفن على قطع من الأبنوس المطعم بالعاج وعليها صور تقليديـــة لبعض الأجانب (فى متحف بوسطن رقم ٢١ر٣٠٨ ، ٢٤ر١٠٠١٨ وفى متحف الخرطوم رقم ١٥٧٥) (٤٥) ؛ وفى متحف الخرطوم قطعة من الفيانس (رقـــم ٢٧٤٩) تحمل اسم شبتكو عثر عليها فى الغرفة الغربية للمعبد الذى يطلق عليه A فى مدينة كوه ، وهو المعبد الذى بناه الملك توت عنخ آمون واضاف اليه الملك طهارقه ، مما يشير الى ان الملك شبتكو قد ترك آثارا فى كوة (٤٦).

وفى مقبرة الملكة آرتى Arty زوجة شبتكو وابنة الملك بعنخى التى تحمل رقم ٦ فى تقسيم ريزنر عثر على تمثال صغير من البرونز لغزال محفوظ بمتحف الخرطوم (رقم ١٥٧٢) .

ومن زوجاته أيضا الملكة قلهتة Qalhata صاحبة الهرم رقم ٥ بجبانة الكرو وهو المشهور بغرفة دفنه ذات الألوان والرسوم الجنائزية . والملكة قلهته هى أم الملك تانوت أمانى .

وفى جبانة الكرو دفن الملوك :

١ ـــ الرا	الكرو رقم (؟)	ـــ	ـــ
٢ ـــ كشتا	الكرو رقم ٨ (؟)	ـــ	٧٥١ ق.م
٣ ـــ بعنخى	الكرو رقم ١٧	٧٥١ ـــ ٧١٦	ق.م
٤ ـــ شباكو	الكرو رقم ١٥	٧١٦ ـــ ٧٠١	ق.م
٥ ـــ شبتكو	الكرو رقم ١٨	٧٠١ ـــ ٦٨٩	ق.م

(٤٤) وفى المتحف المصرى رأس جرانيتى للملك من ملوك نبته يعتقد انها تخص الملك شبتكو وتحمل رقم CG 1291 انظر :
Wenig, Africa in Antiquity II, p. 51, fig. 25.

(٤٥) Porter - Moss VII, p. 197.

(٤٦) Kawa I, pl. 35. p. 87.

٦ ــ (طهارقة دفن فى نورى رقم ١) ٦٨٩ ــ ٦٦٣ ق.م

٧ ــ تانوت امانى الكرو رقم ١٦ ٦٦٣ ــ ٦٢٢ ق.م

وبعد أن أملاء المكان فى « الكرو » بأهرامات أفراد الاسرة المالكة فى نبتة ، وقع الاختيار على المنطقة التى تعرف حاليا باسم « نورى » . وانتى تتبع الى الشمال من الكرو شرقى النيل ، لكى تكون مستقرهم الأبدى وفيها بنى الملك طهارقه ٦٩٠ / ٦٨٩ ــ ٦٦٤ / ٦٦٣ ق . م اكبر وأهم اهرامات تلك المنطقة . (ولقد ورد اسمه تيرهاقا فى التوراة) . وطهارقة هو ابن الملك بعنخى ا ، بى وأمه عابيرو Abiru ؛ والسبب فى ذكر اسمه فى التوراة أن الملك شبنكو اشترك فى حلف مع أمير مدينة صور الفينيقية على ساحل البحر المتوسط ، ومع ملك يهوذا المدعو حزقيال ، وعدد من رؤساء القبائل العربية جنوبى فلسطين ، بالاضافة الى أمراء المدن الفلسطينية وكلهم ضد الملك الآشورى سنحريب . ولكن الملك سنحريب استطاع أن يهزمهم جميعا . وذكر سفر الملوك فى التوراة أن جيش وادى النيل كان بقيادة تيرهاقا (طهارقة) وان الملك حزقيال قد اشترى حريته بدفع مبلغ كبيرة (نظر للمؤلف حضارة تأذن شمسها بالمغيب ص ١٣ ، العدد (١) من مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم) . وفى حفائر البعثة الايطالية التابعة لجامعة بيزيه Pise تحت اشراف الباحث جيورجينى Giorgini فى منطقة سدنقة (صادنقه) Sedeinga غربى النيل بين جزيرتى صاى فى الشمال وصاب فى الجنوب (٤٧) ، فى ذلك الموقع الذى يضم معبد الملكة المصرية الشهيرة « تى » زوجة الملك امينوفيس الثالث عاهل الدولة الحديثة (٤٨) ، والذى كان مأهولا دواما بعد ذلك حتى العصر المسيحى ، عثرت البعثة الأثرية فى الجبانة الملحقة بالمنطقة على مقبرة هرمية طول ضلع قاعدتها ٩٫٨٠ مترا ، وتحمل بعض تفاصيلها المعمارية نصوصا ضمنت أجزاء من اسم الملك طهارقه (الهرم يحمل رقم WTI فى تقارير الحفائر) . وفى

---

(٤٧) Kush XIII 1965, pp. 112-130.

(٤٨) يعتقد المؤرخون أن الملكة المصرية « تى » أصلها من اقليم النوبة ، اعتمادا على ملامح وجهها ولون بشرتها .

داخل غرفة الدفن المحفورة بعناية فى الصخر الطبيعى تحت الهرم ، والذى يؤدى اليها درج ينتهى بقاعة توصل الى غرفة الدفن المذكورة ، عثر على قطع لعظام آدمية ثبت انها لهيكل عظمى واحد . أما الهرم المبنى فوق سطح الأرض فقد الحقت به مقصورة جنائزية بسيطة التكوين يضمها والهرم جدار محيط .

ولكن ما هو المعنى من وراء بناء مقبرة للملك طهارقه فى سندقة (صادنقة) البعيدة نسبيا عن مراكز الثقل السياسى المعروف سواء فى نبتة أو فى مصر ؟ وما معنى أن يبنى لنفس الملك هرم آخر فى نورى ، ذلك الهرم الذى لم يعثر بداخله على آثار للدفن كما ذكر ريزنر Reisner عندما قام بالكشف عنه ؟ .

لابد أن يتبادر الى الذهن ، والحالة هذه ، أن أحد الهرمين يحتمل أن يكون هرما وهميا تذكاريا خصص للروح فقط ، واقيم فى بقعة دينية هامة اختارها صاحب المقبرة لسبب ما . أما دفن الملك فيرجح جيورجينى أنه تم فعلا فى هرم سدنقة ، بدليل العظام الآدمية التى عثر عليها داخل الدفن . واعتقد أن جيورجينى مصيبا فى رأيه . فهناك أمثلة من التاريخ المصرى لا تختلف عن ذلك . ويكفى أن نعلم أن بعض ملوك الأسرتين الأولى والثانية بنوا لأنفسهم مقابر للروح فى البقعة الدينية الشهيرة أبيدوس موطن ومستقر الاله اوزيريس ، بينما استقرت أجسادهم اما فى سقارة أو نقاده . وكذلك فعل الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة ، الذى بنى لنفسه مقبرة على شكل مصطبة فى « بيت خلاف » قرب أبيدوس ، (فى محافظة سوهاج) عاد واقام الهرم المدرج فى سقارة لكى يدفن . وهكذا من خلال فهمنا لمعتقدات أولئك القوم نستطيع أن نفسر كثيرا مما يبدو لنا غامضا من تاريخ السودان القديم ، حيث لم تختلف الخليفة الدينية كثيرا عما كان سائدا فى مصر القديمة .

وفى كوة كشف جرفث عام ١٩٣٠ م عن معبد رائع للملك طهارقه ضمن ما كشف من معابد وآثار للملوك أمينوفيس الثالث واخناتون وتوت عنخ آمون . وفى المتحف البريطانى تمثال فى هيئة أبى الهول للملك طهارقه من كوه يحمل رقم BM 1770

وفى معبد آمون الكبير ب ٥٠٠ (B 500) فى جبل البركل قاعدة من الجرانيت الأشـــهب مازالت قائمة فى مكانها ، كانت مخصصة لحمل تمثال الاله آمون داخل مقصورته الذهبية . وتحمل القاعدة اسم الملك طهارقه ولقبه بحجم كبير (طهارقة ـــ نفرتم ـــ خورع) وسط نقش يمثل وحدة وادى النيل عبارة عن صورتين لاله النيل ، واحدة تمثل نيل الشمال والأخرى تمثل نيل الجنوب يقومان بشد حبل لعقد رمز الوحدة ، وهو رسم يمثل الرئتين والقصبة الهوائية (٤٩) .

وفى متحف الخرطوم رقم ١٨٤١ تمثال ضخم من الجرانيت يمثل الملك طهارقه واقفا (وكان محفوظا فى متحف مروى من قبل) .

وبالمتحف المصرى رأس من الجرانيت الأحمر للملك طهارقه ارتفاعها ٣٦ سم وتحمل رقم ١٢٩١ اقتناها المتحف من أحد تجار الآثار . بالاضافة الى رأس من الديوريت الأسود رقم ٥٦٠ كان يحمل فوقها ريشتين وفقدتا (انظر اللوحة رقم ١٣) .

ويحتفظ متحف أثينا بتمثال صغير لطهارقه من البرونز جالسا على اطراف الأصابع والركبتين رقمه ٦٣٢ .

وبمتحف اللوفر تمثال صغير للملك طهارقه يمثله راكعا يقدم قربانا للاله حورس (الصقر) ، وتمثال من البرونز المذهب وقاعدته من الخشب المغطى بالفضة ، واسم الملك مكتوب على حزام خصره من الخلف .

وهناك فى متحف اللوفر أيضا تمثال صغير آخر ارتفاعه ٧ سم للملك طهارقه بجسم أسد واقف ورأسه رأس انسان طويل الذقن واسمه مسجل على الصدر ، ومن أمامه ثعبانان .. ولعل لذلك دلالة خاصة على اعتبار ان الأسد أصبح معبودا مرويا هاما فيما بعد .

---

(٤٩) Vercoutter, Stand for A Sacred Bark or Altar ? Kush V. p. 87 ff. pl. XXI.

الملك طهارقة

وفى تل الذبى يونس بالعراق عثر على ثلاثة تماثيل مكسورة للملك طهارقه ، كان الملك الآشورى اسر حدون قد نقلها معه فى أعقاب حملته على مصر (٥٠) .

وفى متحف كوبنهاجن رأس تمثال صغير للملك طهارقه . من الترانيت الأشهب تحمل رقم NCG 1538

وهناك نقش صخرى مؤرخ بالعام التاسع عشر من حكم الملك طهارقه فى خور Hanushiya ويقع ما بين طافا وكلابشة بالنوبة المصرية (٥١) .

وسار عدد كبير من ملوك وملكات نبته على نهج الملك طهارقه فى بناء مقابرهم فى نورى ، وذلك بعد أن أصبح حكم مملكة نبتة قاصرا على السودان وحده دون مصر . ونستطيع أن نعدد منهم أكثر من اثنين وعشرين هرما للملوك فى نورى .

١ ــ طهارقه (تيرهاقا) ويلقب [نفرتم ــ خورع] صاحب أكبر هرم فى نورى (Nu. 1) ٦٩٠ ــ ٦٦٣ / ٦٦٤ [الملك تانوت أمانى (با ــ كا ــ رع) خليفة طهارقه هرمه فى الكرو] .

٢ ــ أطلانرسه ــ Atlanersa نورى رقم (٢٠ ؟) [خو ــ كا ــ رع] ٦٢٣ ــ ٦٤٣ ق . م .

٣ ــ سنك ــ أمانسكن Senk-amanisken [سخبر ــ ان ــ رع] . صاحب أكبر هرم فى نورى بعد طهارقة (نورى رقم ٣) ٦٤٣ ــ ٦٢٣ ق . م .

٤ ــ انلامانى Anlamani [عنخ ــ كا ــ رع] . [تابوته الشهير فى متحف بروى] نورى (٦) ٦٢٣ ــ ٥٩٣ ق . م .

---

(٥٠) W. K. Simpson. The Pharao Taharka, Sumer 10. Bagdad 1954 pp. 193-194.

(٥١) Porter-Moss VII p. 10.

٥ د ــ اسبلتا (أسبلته) Aspelta [مرى ــ كا ــ رع] . (تابوته فى يوسطن) وهرمه فى نورى رقم (٨) ٥٩٣ ــ ٥٦٨ ق . م وفى عهده انتقلت العاصمة الى مروى (البجراوية) بينما استمر الدفن فى نورى .

٦ ــ امطالقة (حور مطالقة) Amtalqa [واز ــ كا ــ رع] . هرمه فى نورى رقم (٩) ٥٦٨ ــ ٥٥٥ ق . م .

٧ ــ مالياناقن Malenaqen [سخم ــ كا ــ رع] نورى رقم (٥) ٥٥٥ ــ ٥٤٢ ق . م (٥٢) .

٨ ــ أنلمعيه Anlamaaye [نفر ــ كا ــ رع] . نورى رقم (١٨) ٥٤٢ ــ ٥٣٨ ق . م .

٩ ــ امانى ــ ناتاكى ــ لبته Amani-Nataki-Lebte [عنخ ــ برو ــ رع] . نورى رقم (١٠) ٥٣٨ ــ ٥١٩ ق . م .

١٠ ــ كركمانى Karkamani نورى رقم (٧) ٥١٩ ــ ٥١٠ ق . م .

١١ ــ امانى ــ ستطبارقة ، أما نستطبارقه Amaniastabarqo [سحتب ــ كا ــ رع] . نورى رقم (٢) ٥١٠ ــ ٤٨٧ ق . م .

١٢ ــ سيعسبقه (?) Siaspiqo [سجر ــ حتاو ــ رع] . نورى رقم (٤) ٤٨٧ ــ ٤٦٨ ق . م .

١٣ ــ نسخما Nasakhma نورى رقم (١٩) ٤٦٨ ــ ٤٦٣ ق . م .

١٤ ــ مالوبيامانى Male-wieb-amani [خبر ــ كا ــ رع] . نورى رقم (١١) ٤٦٣ ــ ٤٣٥ ق . م .

---

(٥٢) الملوك من رقم ٢ الى رقم ٧ هم اصحاب اكبر الأهرامات فى جبانة نورى بعد هرم الملك طهارقه .

١٥ ــ طلخمانى Talkhamani ـ نورى (١٦) ٤٣٥ ــ ٤٣١ ق ٠ م ٠

١٦ ــ أمانى ــ نتيركا Amani-Nete-Yerike [نفر ــ أيب ــ رع]
نورى رقم (١٢) ٤٣١ ــ ٤٠٥ ق ٠ م ٠٠

١٧ ــ بسكاكيرن Baskakeren نورى (١٧) ٤٠٥ ــ ٤٠٤ ق ٠ م ٠

١٨ ــ حورسيوتف Harsiyotel نورى (١٣) ٤٠٤ ــ ٣٦٩ ق ٠ م ٠

١٩ ــ ك ٠٠٠٠ نورى (٠) ٣٦٩ ــ ٣٥٣ ق ٠ م ٠

٢٠ ــ اخرتن Akhratan نورى (١٤) ٣٥٠ ــ ٣٣٥ ق ٠ م ٠

٢١ ــ نستاسن (نسطاسن) Nastasen [كا ــ عنخ ــ رع]
نورى (١٥) ٣٣٥ ــ ٣١٥ ق ٠ م ٠

٢٢ ــ أمانى باخى (؟) نورى ٣١٠ ــ ٢٩٥ ق ٠ م ٠

ثم انتقل الدفن الى البركل ثم الى البجراوية ٠

والملاحظ أن معظم أسماء الملوك لهذه المجموعة تتألف من اسم الاله آمون مع اضافة الياء (أمانى) ولعلها للنداء أو للرجاء ٠ كما يلاحظ كذلك تكرار المقطع مالى male (أو (mle) فى اسماء الملوك وهى كلمة مروية معناها جميل أو حسن كما سبق ذكره ٠

وتدل المخلفات الأثرية لأصحاب حضارة نبتة على أن أهلها قد تأثروا الى حد كبيرة بالحضارة المصرية ، فأضحى الكثير من مظاهر حضارتهم ذا طابع مصرى ، فالى جانب اتخذهم اللغة المصرية لغة رسمية ، فان مقابرهم اتخذت الشكل الهرمى الذى كان معروفا فى مصر منذ أيام الدولة القديمة ؛ مع اختلاف فى الحجم والتصميم فرضته طبيعة العصر ٠ والمادة الحجرية المتوافرة محليا من الحجر الرملى النوبى الرديء نسبيا ٠ وقد زينوا غرفها بالمناظر والنصوص الدينية المصرية ، التى عرفتها مصر طوال عصورها القديمة ،

وعلى جدران غرفة دفن الملكة قلهته Qalhata فى جبانة « الكرو » ، صورت الملكة راقدة على بطنها داخل تابوتها المثبت فوق السرير الذى اتخذ شكل الأسد ، وهى ترفع رأسها لتطل خارج التابوت الى من يمنحها رمز الحياة لتبعث مرة أخرى ، ومن أسفل السرير صور الفنان ما ظن انه يلزم الملكة فى عالمها الآخر ، كالتيجان وشارات الملك ، وأضاف اليها بعض الأسلحة ، من بينها القوس والسهام ، وحسب اعتقادى فان هذا التصوير للقوس والسهم فى هذا الموقع انما انفردت به حضارة السودان القديم . ولعله صدى لبراعة أهل شمال السودان فى استعمال القوس والسهام منذ أقدم الأزمنة ، والتى من أجلها حملوا لقب « أصحاب الأقواس » ، ويمكن أن يقارن ذلك بما ظهر فيما بعد بين أصحاب الحضارة المروية التى خلفت حضارة نبته ، وعلى سبيل المثال أحد المناظر على جدران معبد الأسد « بالمصورات الصفراء » وفيه يقدم المعبود الأسد « أبدماك » شارته للملك ارنخ — أمانى بحدى يديه ، وباليد الأخرى يمسك بقوس ضخم وجعبة السهام وبحبل موثوق به أسير .

وهناك مذبح من الجرانيت الأسود ، استعمل كقاعدة للقارب المقدس للمعبود آمون — رع فى معبد الاله بجبل البركل ، وعليه اسم ولقب الملك أطلانرسه — خو كارع « ويحمل رقم ٢٣٫٧٢٨ بمتحف بوسطن » .

ويعتبر كل من تابوتى الملك انلمانى Anlamani (بمتحف الخرطوم رقم ٢٣٫٧٢٩) والملك أسبلتا Aspelta — بما عليهما من مناظر دينية ونصوص، معظمها يماثل ما كان موجودا فى مصر أيام الدولة الحديثة ، بعضها من نصوص الأهرام والبعض الآخر من نصوص التوابيت ومن كتاب الموتى (٥٣) — نموذجين لمدى ارتباط الحضارتين السودانية والمصرية .

بنى طهارقة فى « دنم » Sanam معبدا ضخما للمعبود آمون رع (ثيرتاستى) كشف عنه العالم Griffith فى حفائره (٥٤) لحساب مدف

---

(٥٣) هى نصوص دينية سحرية لمساعدة روح الميت فى العالم الآخر .
(٥٤) Oxford Excavations in Nubia in L.A.A.A. IX, pp. 74, 6.

الأشمولين بالكسفورد (٥٥) ، وهو المعبد الوحيد لملكة نبتة فى « مسنم » بالاضافة الى الجبانة التى كشف عنها هناك وترجع الى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد .

وانتشرت معابد ملوك نبتة — التى بنيت على الطراز المصرى — فى « البركل » وفى « كوه » وفى صنم وفى غيرها . وهى تدل بشكل واضح على أن المعبودات المصرية الرئيسية كانت هى نفسها معبودات أصحاب مملكة نبتة . وفى معبد آمون بالبركل — الذى اعتبر مستقرا ثانيا للمعبود آمون بعد معبد الكرنك فى طيبة — بقايا قاعدة كانت مخصصة لحمل تمثال المعبود آمون رع ، نحت عليها صور والقاب الملك طهارقة . وفى زمن طهارقة يرجع بناء البوابة الأولى الخارجية لمعبد الكرنك بطيبة وهى مواجهة لطريق الكباش الصغير المؤدى الى الميناء النهرى القديم الخاص بالمعبد (الارتفاع ١١٣م — والسمك ١٥م) . بالاضافة الى تكملة القاعة الواقعة خلف تلك البوابة مباشرة ، وكذلك مجموعة الأعمدة المقامة فى وسط تلك القاعة الأولى لمعبد الكرنك وتتألف من خمسة اعمدة فى كل جانب ، تحاكى تيجانها زهرات البردى المتفتحة .

كما بنى طهارقه معبدا فى جبل البركل ، كرسه لعبادة الالهة حتحور ، التى كانت ترمز للأمومة والحنان والرحمة ، وكانت دائما تذكر حيث تقسم الطبيعة وعلى الأخص فى الأماكن الجبلية ، أو فى الأماكن النائية ، بعدا عن الأوطان . ونصف هذا المعبد محفور داخل الجبل ، ومازال يحتفظ بجزء كبير من رونقه وخاصة الجزء المحفور داخل الجبل ، حيث صور الملك مع عدد من الآلهة ، مع بعض الأعمدة ذات التيجان على شكل رمز حتحور .

ولقد حاول شمت Schmidt (٥٦) بمساعدة النصوص التى وردت على لوحات الملك طهارقه التى عثر عليها كل من ريزنر ومكادم من قبل فى تحوه أن يوضح التواريخ الآتية بالنسبة للملك طهارقه .

---

(٥٥) Porter and Moss VII, p. 198 ff.

(٥٦) Das Jahr des Regierungsantritts König Taharqas, in Kush VI, p. 120 ff.

عام ٧١٠ ق . م — ميلاد طهارقة

عام ٦٩٠ ق . م بداية اشتراكه فى الحكم مع أخيه الملك شبتكو .

عام ٦٨٩ ق . م وفاة الملك شبتكو وبداية حكم طهارقه .

عام ٦٦٣ ق . م وفاة الملك طهارقه .

وقبل أن نختتم الحديث عن زمن الملك طهارقه ، لابد من الاشارة الى احدى الشخصيات الهامة التى عاصرت حكم الملك طهارقه وجاوزته لتعاصر حكم الملك بساماتيك الأول — عاهل الأسرة السادسة والعشرين المصرية — ونعنى به عمدة طيبة والكاهن الرابع لآمون فى طيبة المدعو : منتومحات (ومعنى الاسم منتو — اله الحرب — هو الأول) — وهو صاحب المقبرة رقم ٣٤ بمنطقة العساسيف بجبانة طيبة (٥٧) . ولمنتومحات هذا عدة تماثيل ، منها تمثاله فى متحف برلين الشرقية (رقم (17271)من الجرانيت . واحدى زوجاته كانت تحمل اسم أجارنس Uzarenes وكان والدها يدعى « بعنخى — هار » وهو ابن ملك ، وقد ترجم بريزا (٥٨) الاسم « الملك بعنخى مسرور » .

---

(٥٧) Porter-Moss I, p. 56 ff.

(٥٨) Priese, Nichtägyptische Namen und Wörter in den Könige von Kush. 1, p. 168. in MIO.

٢ ــ الصراع بين مملكة وادى النيل وبين الامبراطورية الآشورية

استمر الوجود الفعلى لملكة نبتة فى مصر منذ محاولة الملك « كشتا » فتح صعيد مصر حوالى عام ٧٥٠ ق . م ، الى أن بدأ ملوك آشور يسعون للاستيلاء على مصر بعد أن ضمت امبراطوريتهم حينذاك معظم بلاد الشرق القديم .

فبعد أن استقرت الأمور لهم فى الشمال ، وفى الشرق وفى الجنوب ، اتجهت أنظارهم الى الغرب والى الجنوب الغربى لكى يخضعوا مملكة وادى النيل وحلفاء تلك المملكة فى آسيا ، من دويلات الشام وفلسطين .. وكانت مصر تحت حكم ملوك نبتة ، شعورا بالخطر الآشورى المتزايد قد عقدت تحالفا مع بعض أمراء فلسطين ، وارسلت اليهم قوات لتؤازرهم ؛ ولكن سرجون الثانى الآشورى (٧٢١ ــ ٧٠٥ ق . م) تمكن من هزيمة القوات المتحالفة عام ٧٢٠ ق . م عند رفح كما سبق أن ذكرنا ، واضحت الممالك الفينيقية ، ما عدا مدينة صور Tyre ، خاضعة للآشوريين . وبعد أن أعاد شباكو فتح مصر ، كان كل من الطرفين السودانى والآشورى فى وضع لا يسمح له بالدخول فى معارك حاسمة ، وقد بالغت الحوليات الآشورية فذكرت أن مصر ومملكة سبأ ــ فى جنوب شبه الجزيرة العربية ــ وسورية قد أرسلوا هدايا للملك الآشورى اعترافا منهم بسلطانه .

وسنحت الفرصة للملك شبتكو Shebitku أن يدعم مركزه ويعيد تكوين حلفه فى فلسطين وسوريا ، بينما كان **الملك الآشورى « سنحريب »** (٧٠٥ ــ ٦٨٠ ق . م) مشغولا باخماد ثورة بابل ، وانضم الى الحلف المضاد لآشور أمير مدينة « صور » الفينيقية المدعى « بعل » وملك يهوذا « حزقيال » ، وعدد من رؤساء القبائل العربية جنوبى فلسطين بالاضافة الى أمراء المدن الفلسطينية . وتقدم اليهم « سنحريب » فانفك عقد الحلف ، وتحصن « حزقيال » داخل أورشليم ، التى حاصرها الملك « سنحريب »

مدة طويلة بلا طائل ، الى ان اضطر الى فك الحصار عنها بسبب وباء أصاب جنده ، كما ورد فى التوراة (سفر الملوك . الاصحاح ١٨ وما بعده) . وذكر فى سفر الملوك أن جيش وادى النيل كان بقيادة تيرهاقا (طهارقه) ، الذى تولى قيادة الجيش ، قبل أن يلى العرش بمدة طويلة نيابة عن أخيه الملك شبتكو . كما ورد أيضا ان الملك « حزقيال » قد اشترى حريته من الملك الآشورى بدفع فدية كبيرة .

وعلى لوح من الجرانيت الوردى (رقم ٣٧٤٨٨ بالمتحف المصرى) عثر عليه فى تانيس (صان الحجر) بشرق الدلتا ، ذكر أن طهارقه كان موجودا فى مدينة تانيس قبل أن يتوج ملكا على وادى النيل ، وذلك للاستعداد لصد هجمات الآشوريين على مصر . وكان عمره حينذاك عشرين عاما . ويذكر اللوح أن أم الملك طهارقه حضرت الى مصر برفقة الملك (شبتكو) .

ومنذ أن تولى العرش فى آشور **اسرحدون** (٦٨٠ — ٦٦٩ ق . م) أخذ يعد العدة للقضاء على مملكة وادى النيل الموحد ، فبعد أن هزم حلفاءها فى الشرق ، ماعدا مدينة (صور) التى تركها تحت الحصار ، تقدم نحو مصر ، ولكن الملك طهارقه (٦٩٠ — ٦٦٤ ق . م) أوقع به الهزيمة ، وحينئذ اطمأن الملك طهارقه وأهمل الاستعدادات ، وأمر بتخليد انتصارات مبالغ فيها على قاعدة تمثاله فى معبد الكرنك (١) .

أما اسر حدون ملك آشور فانه لم يسلم بالهزيمة التى أفقدته هيبته أمام العديد من الشعوب الخاضعة لسلطانه . فجمع قواته وأقبل بجيشه القوى ، وأخذ أمير مدينة « صور » الفينيقية على حين غرة وحطم حصونه ، ووقع الأمير فى الأسر ، ثم تقدم الملك الآشورى حتى وصل الى مدينة « منف » عند رأس دلتا النيل . وسقطت «منف» سنة ٦٧١ ق.م ، ووقع حريم الملك طهارقه وأحد أبنائه المدعو نيسونحرت (أوشناكورو Ushanachuru كما ورد فى النص الآشورى) فى الأسر ، بينما تقهقر الملك طهارقه بما تبقى من جيشه نحو الجنوب ، تمهيدا لاعادة تنظيم قواته والتقاط الأنفاس ، واكتفى

---

(١) Mariette, Karnak, pl. 45 a 2; Budge II. 38.

اسر حدون بفتح دلتا النيل وتقبل ولاء أمراء اقاليمها ثم عاد من حيث أتى بسبب مرضه . وفى تل النبى يونس بالعراق عثر على ثلاثة تماثيل مكسورة للملك طهارقه ، كان الملك اسر حدون قد نقلها معه الى هناك (٢) . وأمر الملك بتخليد انتصاره على نصب تذكارى عند مدخل قلعة « سنجرلى » Sendschirili = Sam'al الى الشمال من قرقميش (شمال شرقى حلب ، على نهر الفرات) . ولقد عثرت عليه احدى البعثات الألمانية ونقلته الى متحف برلين عام ١٨٨٨م . وعلى اللوح البازلت الضخم والذى اقيم على قاعدة ضخمة من البازلت أيضا ، بالاضافة الى النص الآشورى الذى يصف فتح مصر بمساعدة الآلهة ، صور الملك الآشورى بالحجم الكبير يحمل اناء به قربان وأمام وجهه صورت رموز اثنا عشر معبودا آشوريا ، وفى يده اليمنى عدا عصا القتال — حبلان ينتهيان عند شفاة اسيرين مخزومين ، أحدهما صور واقفا ، ولعله « بعل » أمير مدينة « صور » أو أمير مدينة « صيدا » Sidon أما الآخر فقد صور راكعا ومقيدا من يديه وقدميه ولعله الابن الأسير للملك طهارقة المدعو « أوشناكورو » (٣) ..

ولقد أطلق اسر حدون على نفسه فى هذا النص لقب ملك الجنوب والشمال (يقصد ملك مصر كلها) وكوسى Kusi (اى مملكة كوش السودانية) ، وهكذا اعلن اسر حدون نفسه ملكا على مصر ، وادعى ملكية كوش (أو مملكة نبتة) أيضا ، رغم أنه لم يكن قد انتصر بعد على طهارقة انتصارا حاسما . وعند رحيل اسر حدون عاد طهارقه الى الدلتا ودخل منف واعاد تنظيم قواته بعد أن استعاد سيطرته على شمال الوادى ..

أما الفصل الأخير فى صراع حضارة وادى النيل مع حضارة بلاد النهرين فقد بدأ أيام الملك « آشوربانيبال » (٦٦٨ — ٦٢٦ ق . م) الذى استأنف الحملة على وادى النيل ودخل منف بعد أن غادرها طهارقه متقهقر نحو

---

(٢) W.K. Simpson. The Pharao Taharka, Sumer 10, Bagdad 1954 pp. 193-194.

(٣) Durch vier Jahrtausende Altvorderasiatischer Kultur. Berlin 1962. Abb. 18, SS 54/55.

الجنوب . ثم واصل الملك الآشورى التقدم جنوبا فبلغ طيبة وفتحها عام ٦٦٦ ق . م بعد ان غادرها طهارقة الى نبتة . عندئذ أمر الملك اشور بانيبال بتعيين أمراء مصريين موالين له يحكمون مصر باسمه وعاد الى آشور .

وفى سنة ٦٦٤/٦٦٣ ق.م مات الملك طهارقه وخلفه (ابن أخيه شبتكو من زوجته المدعاة قلهتة أخت طهارقه) **الملك تانوت ــ أمانى** ، وفى المتحف المصرى لوح ضخم ٤٨٨٦٣ عثر عليه مع لوح بعنخى فى جبل البركل يحمل اسم وصور الملك تانوت ــ أمانى يسمى لوح الحلم (٤) مؤرخ بالسنة الأولى من حكمه يتحدث فيه عن رؤيا تعده بملك مصر ، فلقد رأى نفسه فى الحلم بين ثعبانين أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله . وفسر له ذلك على أن حكم مصر كلها سوف يؤول اليه ، بعد أن يطرد الغزاة عن وادى النيل . وعند وفاة الملك طهارقه ، أسرع تانوت أمانى الى نبتة حيث توج ، وقام على راس جيش ، وكله أمل فى استعادة مصر من قبضة الآشوريين . واستقبل فى الفنتين (أسوان) وفى طيبة استقبالا حارا . وفى منف اشتبك مع جيوش بيوتات الدلتا الموالين لآشور ، ولكن معظمهم انسحب ليحتمى خلف اسوار مدنه . أما الذين خضعوا للملك تانوت ــ أمانى فانه تقبل منهم الولاء فى منف . ورغم أن النص على اللوح ينتهى عند هذا الحد ، الا أن الأحداث المؤسفة فاجأت الملك تانوت ــ أمانى بعد ذلك عندما عاد الجيش الآشورى الى مصر ، فانسحب تانوت ــ أمانى بسرعة الى طيبة ومنها الى نبتة ، واقتحم الآشوريون طيبة بعد أن انسحب منها تانوت ــ أمانى الى الجنوب . وأصيبت المدينة العريقة بالدمار على أيدى جيش آشور بانيبال . وكان للتفوق الحاسم للجيوش الآشورية بأسلحتها الحديدية المتطورة اكبر الأثر فى عودة ملوك نبتة الى عاصمتهم الأولى . ومن هناك حاول الملك تانوت ــ أمانى عبثا استعادة شمال الوادى .

ومن آثار تانوت أمانى فى طيبة ، صورة على جدران معبد الاله بتاح بالكرنك وهو يقدم قربانا للاله آمون . وفى هذه الصورة يضع تانوت أمانى

---

(٤) Porter-Moss VII p. 218, 219; Arkell. History p. 134 f.

على رأسه غطاء الرأس المميز لملوك السودان القديم ويضع فى أذنه قرطا على هيئة زهرة الرمان (٥) .

ودفن تانوت — أمانى فى هرم بناه فى الكرو (هرم رقم ١٦) ، وزينت غرفة دفنه بمناظر دينية ، وعثر فيها على مائدة قرابين من الجرانيت (Boston 12, 3232) ، كما أمر الملك بدفن خيوله فى مقابر خاصة غير بعيده من مقابر الملوك بجبانة الكرو ، كما فعل من قبله الملك بعنخى وشباكو وشبتكو .

وانتقل الملك فى مصر بسرعة الى يدى أمير من أمراء الدلتا يدعى بساماتيك ، الذى تحالف مع الملك « جيجس » ٦٨٥ — ٦٥٧ ق . م Gyges ملك مملكة ليديا الاغريقية فى آسيا الصغرى ؛ واستطاع أن يستعيد طيبه من ايدى آخر ملوك نبته فى مصر وهو الملك تانوت — أمانى عام ٦٤٥ ق . م . بمساعدة الجند المرتزقة اليونيين والكاريين ، وهم أولئك الاغريق الذين استطونوا آسيا الصغرى ، وذلك بعد أن تمكن من طرد فلول الاحتلال الآشورى عن مصر ، وأعلن نفسه ملكا عليها وأسس الأسرة السادسة والعشرين المصرية ٦٦٤ — ٥٢٥ ق . م . ، وملوكها هم بساماتيك الأول ، نخاو ، بساماتيك الثانى ابرياس ثم أمازيس ، وفى زمن الأخير تم للفرس فتح مصر .

وسمحت الأحوال السياسية فى المحيط العالمى لملوك تلك الأسرة بالتصدى لبقايا الاحتلال الآشورى ، وذلك أن الآشوريين انشغلوا فى صراعهم مع جيرانهم فى الشرق والشمال الشرقى وفى الغرب وفى الجنوب حتى قضى عليهم أخيرا سنة ٦١١ ق . م ، عندما تحالف الميديون (سكان شمال فارس) مع الكلدانيين فى جنوب العراق (وهم البابليون الجدد) وتمكنوا من فتح نينوى عاصمة الامبراطورية الآشورية .

وفى زمن الأسرة السادسة والعشرين وبخاصة فى عهد الملك نخاو

---

(٥) Mariette, Mon. div. pl. 81.

(٦١٠ — ٥٩٥ اتجهت مصر الى غربى آسيا ناحية الشرق لتتابع الأحداث المتقلبة (٦) والتى ثبت بالتجربة تأثيرها المباشر على مصر وشعبها .. فقام نخاو هذا بمحاربة ملك يهوذا يوشياس Josias وقتله فى معركة عند مجدو (بفلسطين) . وأقام فى أورشليم ملكا موالياً له ، واستمرت منطقة فلسطين وسوريا تابعة للملك نخاو ما يقرب من أربعة سنوات ، وعندما هزمت قواته مع جيوش حلفائه فى موقعة قرقميش غربى أعالى الفرات (تركيا) فى عام ٦٠٥ ق . م . على يد الملك البابلى نبوخذ نصر ، انتهى حكم الملك المصرى للمناطق الآسيوية . ويذكر المؤرخ هيردوت (Herodot) أن نخاو اتجه وجهة أخرى ، حيث أمر بحفر قناة تربط النيل بالبحر الأحمر ، لعلها فى موقع أحد فروع النيل القديمة الجافة . فحقق لأول مرة ، ربط البحرين الأحمر والمتوسط عن طريق القناة ثم النيل . وانشأ أسطولا كبيرا . وقال هيردوت ان البحارة الفينيقيين ساعدوا رجاله فى اجتياز البحر الأحمر الى المحيط الهندى ثم الدوران حول افريقيا والعودة من الغرب خلال جبل طارق والبحر المتوسط . أى أنهم قاموا بالدوران حول افريقيا قبل فاسكودى جاما بما يقرب من ٢٠٠٠ سنة ، ولم يصدق هيردوت ما ذكره بحارة هذه الرحلة البحرية عن رؤيتهم للشمس فى ناحية الشمال الا أن ذلك يعتبر دليلا على صدق الرواية ووصول الرحلة الى نصف الكرة الجنوبى (٧) ، وفى زمن نخاو حدثت أمور جليلة أخرى فى العالم القديم . اذ استطاع الملك البابلى (الكلدانى) نبوخذ نصر أن ينتصر على مملكة يهوذا . ويقوم بتهجير أهلها منها عام ٥٩٧ ق . م . ثم يدمر المعبد اليهودى فى أورشليم تماما عام ٥٨٦ ق . م . ولم يسمح للاسرائيليين بالعودة لأورشليم الا زمن الاحتلال الفارسى بعد ذلك بحوالى خمسين سنة تقريبا . وكانت مملكة اسرائيل ، وهى ثانى الممالك اليهودية المحتلة للمنطقة الشمالية من فلسطين الحالية ، قد سقطت من قبل وقضى عليها نهائيا بوساطة الملك الآشورى سرجون الثانى سنة ٧٢٢ ق . م .

---

(٦) انظر الخريطة .

(٧) Knaurs Lexikon p. 178.

وتميز عصر الأسرة السادسة والعشرين فى مصر ، بالانفتاح على بلاد الاغريق ، حيث سمح الملك المصرى أمازيس للمستوطنين الاغريق الذين يعملون فى التجارة بانشاء مستوطنة لهم فى مدينة نقراطيس الى الشمال الغربى للدلتا ، وغرب مدينة سايس Sais العاصمة المصرية فى ذلك الحين — وتسمى حاليا كوم جعيف ، وكانت المستعمرة خاضعة لملك مصر تدفع الضرائب لمعبد الالهة نايت فى سايس ، ولكنها مستقلة داخليا . وبعد تأسيس الاسكندرية استمرت نقراطيس ميناء هاما فى الطريق بين الاسكندرية ومدينة منف .

وعلى الساحل الليبى استطاع الاغريق تأسيس مستعمرة هامة لهم فى قورينة حوالى سنة ٦٣١ ق . م أى فى نفس العصر تقريبا الذى أسست فيه نقراطيس فى مصر .

ثم توسع الاغريق فأنشأوا مستعمرات تمكنت قورينة أخيرا من توحيدها فيما عرف باسم المدن الخمسة (البنتابوليس Pentapolis) وتشمل كل منطقة برقة .

٣ — العلاقات بين مملكة نبته ومصر بعد طرد الآشوريين

سجل اللوح التذكارى الذى عثر عليه فى تانيس شرقى الدلتا ، الخاص بالملك (بساماتيك الثانى) من ملوك الأسرة السادسة والعشرين المصرية ، أخبار الحملة التى قام بها فى عامه الثانى ضد مملكة نبته ٥٩١ ق . م وكان يحكمها حينذاك الملك أسبلتا فى عامه الثانى ، وهذا الحدث يعتبر علامة تاريخية هامة بالنسبة الى معرفة تاريخ ملوك السودان القديم ، وكان من نتيجة الحملة تحطيم مدينة نبته العاصمة . ولقد اصطحب « بساماتيك الثانى » فى تلك الحملة أعدادا كبيرة من الجنود المرتزقة الاغريق ، الذين نقشوا أسماءهم على اقدام التماثيل الضخمة للملك رمسيس الثانى المنحوتة أمام معبد « أبو سمبل » الكبير عند عودتهم من السودان (١) .

وأطول نقش من تلك النقوش التى خطها أولئك المرتزقة يقول : « (دون هذا النص) عندما وصل الملك بساماتيك الى الفنتين (أسوان) ، ولقد سجل هذا (النص) أولئك الذين أبحروا مع بساماتيك بن ثيوكلس Theocles ، وهم قد وصلوا (أى بعد أن وصلوا) الى ما ورا كركس Kerkis على قدر ماسمح النهر . وكان أولئك الذين يتحدثون بلغات أجنبية تحت قيادة بوتسمتو Potasimto ، أما المصريون (فتحت قيادة) أحموسى Amasis» ثم ينتهى النص . وهناك نقش آخر بالكرنك يتحدث عن تلك الحملة التى وصلت الى طمبس Tumbus (Pnubs) ، وأنها بعد أن هزمت النوبيين احتلت اقليم Shas شاس (= اقليم دنقله ؟) . ولقد عثر على أسماء بعض الجنود المرتزقة الكاريين (نسبة الى مملكة كاريا الى الجنوب لغربى من آسيا الصغرى . وهى احدى المستعمرات الاغريقية المنتشرة فى آسيا الصغرى فى ذلك الحين) — مسجلة على جدران معبد بوهين .

---

(١) Herodot II 161; LAeI, 4, S 487 (Aspeita).
Emery, Egypt in Nubia, p. 223;

ولعل تعرض مملكة نبتة لذلك الهجوم يكون من الأسباب المباشرة التى أدت الى نقل العاصمة من نبتة الى مروى جنوبا فى زمن أسبلتا (مرى ــ كا ــ رع) ٥٩٣ ــ ٥٦٨ ق . م ، والتى تقع شمال الخرطوم بحوالى ٢٣٠ كم (وتسمى حاليا بالبجراوية) . ولا شك فى أن العامل الجغرافى لعب دورا أساسيا فى نقل العاصمة من نبته الى مروى ، فربما حدث تغير فى الأحوال الجوية ، وكان انتقال مركز الحكم نحو الجنوب استجابة لذلك العامل الطبيعى نتيجة لقلة الأمطار وصعوبة الحياة فى الأخوار المحيطة بمنطقة نبتة وزحف الصحراء على المساحة الخضراء الضيقة هناك .

والمتتبع لتاريخ الحضارة السودانية فيما بعد ، يرى أن أصحاب تلك الحضارة تعلموا من أعدائهم الآشوريين استعمال الأسلحة الحديدية ، واكتشفوا مناجم للحديد بالقرب من العاصمة الجديدة مروى ، وتوصلوا بمضى الزمن لصهر خام الحديد بطريقة عملية ، بل انهم اضحوا فى فترة وجيزة من أهم مصدرى الحديد فى افريقيا ، مما دعى رجل الآثار سايس Sayce الذى حفر فى مروى ، الى أن يسمى مروى « برمنجهام » وسط أفريقيا ؛ لما هو قائم هناك الى اليوم من مخلفات عمليات صهر الحديد على مر السنين .

على الرغم من تلك الأحداث الجسام التى تعرضت لها مملكة نبتة فى زمن الملك أسبلتا ، وهو ابن الملك سنك ــ أما نسكن والملكة نسلسه Nasalsa وخليفة أخيه انلامانى Anlamani ، الا أن ذلك الحاكم قد ترك كثيرا من الآثار التى تدل على نشاطه :

فهناك احتمال كبير أن معبد الشمس الشهير بالبجراوية قد بنى فى زمن الملك أسبلتا الملقب بـ (مرى ــ كا ــ رع) ، فحتى الآن تعتبر آثار أسبلتا هناك هى أقدم مبان اقيمت فى المعبد . وفى متحف بوسطن تمثال ضخم من الجرانيت الأسود للملك أسبلتا (23.730) .

وفى هرم الملك أسبلتا فى نورى (رقم ٨) عثر على تابوت من حجر

الجرانيت (نقل الى بوسطن وحمل رقم ٢٣٫٧٢٦) محلى بالمناظر الدينية التى تشبه نظيرتها فى مصر . مما يشير الى أن هؤلاء القوم ظلوا محافظين على تراث وادى النيل واعتبار انجازات الحضارة فى مصر القديمة انما هى انجازات لهم فيها نصيب كبير .

وعثر على لوحين للملك اسبلتا فى معبد آمون بجبل البركل (رقم ٥٠٠) عام ١٨٦٢م ، واللوحين من الجرانيت :

أما اللوح الأول ، الذى نقل الى المتحف المصرى ويحمل رقم ٤٨٨٦٦ ، ويسمى لوح التتويج ، فمؤرخ بالعام الأول من حكم الملك اسبلتا . وفى قمة اللوح صور الملك أسبلتا وأمه نسلسة Nasalsa أمام المعبود آمون فى نبتة ، ومن خلف زوجته المعبودة « موت » ، وقد أزيلت منه عمدا الأسماء الملكية فى عملية انتقامية من أحد الخصوم .

واللوح الثانى مؤرخ بالعام الثالث من حكم الملك اسبلتا ، ويطلق على هذا اللوح اسم « لوح التبنى » (Adoption stela) وقد نقل الى متحف اللوفر باريس ويحمل رقم C. 257 ، وعلى قمة اللوح منظر يمثل الملك أسبلتا وأمه الملكة نسلسه (وهى أم الملك أنلمانى ايضا) ، ثم الملكة ماديقن Madiqen ، زوجة الملك أنلمانى Anlamani شقيق أسبلتا ، وهم يقومون بتنصيب ابنة الملكة الأخيرة المدعاة « حنوت ــ تاخبيت » Henuttakhebit زوجة أسبلتا فى منصب كاهنة آمون فى نبتة ــ أمام الثالوث المقدس « آمون ــ موت ــ خنسو » (٢) .

هذا بالاضافة الى أنه ترك آثارا فى كوه وفى صنم وهناك أيضا اللوحة التذكارية الخاصة بالأميرة خاليوت Chaliut ، (٣) وقد سبقت الاشارة الى تابوت اسبلتا الشهير الموجود حاليا فى متحف بوسطن بالولايات المتحدة تحت

---

(٢) Porter—Moss VII, p. 217/218.

(٣) L.Ae I, p. 487.

رقم 23.729 متحف الفن (راجع أسفل ص ١٦٧ من هذا الكتاب ! .

ولأسبلتا تمثال عثر عليه فى Defeia نقل الى متحف الخرطوم تحت رقم ٧٧٧ر١١ وذكر أن الملكة التى تحمل أسما مرويا (مك ـــ ملى) أى الملكة الجميلة هى زوجة الملك Aspelta .

ثانيا : العصر المروى

٢٩٥ ق ٠ م ٠ — ٣٢٠/٣٥٠ ق/ م ٠

يكاد يجمع المؤرخون على أن نقل العاصمة من مدينة نبتة الى مدينة مروى قد تم فى زمن الملك أسبلتا Aspelta (٥٩٣ — ٥٦٨ ق ٠ م) ، بينما استمر تقليد تتويج الملوك فى نبتة ، كما استمرت نبتة تقوم بدورها كمركز دينى هام ، ومقر للمعبود « آمون القائم على الجبل المقدس » ٠ وجدير بالذكر أن نقل العاصمة فى ذلك الوقت المبكر لم يتبعه مباشرة الانتقال بالدفن من نبتة الى مروى ، وانما استمرت نبتة تقوم بدورها كمستقر للملوك مروى حتى زمن الملك أرتك — أمانى ٢٩٥ — ٢٧٥ ق ٠ م الذى انتقل بمقبرته ليدفن فى مروى (البجراوية) ٠

والواقع أن اسم مملكة مروى الذى اختاره المؤرخون لتلك المرحلة الهامة من تاريخ كوش انما هو نسبة الى اسم العاصمة مروى الذى ورد فى النصوص الخاصة بذلك العصر (فى اللغة المروية : مزوى Mazewi = مروى وقراها الاغريق مروى) ، أما فى المصرية فكتبت Bedewi «بدوى» ٠ واطلاق اسم العاصمة على الدولة من قبل المؤرخين المحدثين خاصة انما هو لغرض التبسيط والدراسة وتحديد فترة تاريخية بعينها ٠ وفى حقيقة الأمر ان تلك الدولة التى قامت فى شمال السودان منذ سقوط الدولة الوسطى المصرية ، ثم دخلت فى زمرة الدولة المصرية زمن الدولة الحديثة ، وبعدها ظهرت على مسرح الأحداث العالمية متخذة نبتة عاصمة لها ، وتلى ذلك نقل العاصمة الى مروى ، انما كانت دائما تسمى فى وثائق ذلك العهد كوش (كاس ، أو كاسو ، كشى ، كش) سواء على لوح الملك كاموسى من الأسرة السابعة عشرة ، أو فى وثائق الدولة الحديثة المتعددة ، أو فى مصادر تاريخ مملكة نبتة ، وفى المصادر البابلية والآشورية وفى المصادر المروية ثم فى نص

الملك « عيزانا » ملك اكسوم ، الذى وصف فيه احتلاله للبقية الباقية من حضارة تلك المملكة ، وأخيرا فى المصادر النوبية القديمة حيث سميت كوش باسم « كاس » (١) .

وتدل الشواهد على أن مدينة مروى كانت مأهولة بالسكان منذ مطلع تاريخ مملكة نبتة ، بما فى ذلك المدينة والجبانة الملكية ، وهناك من يقول باقامة فرع من الأسرة الملكية فى مدينة مروى كان يتبع الحكومة المركزية فى نبتة منذ بداية ظهور البيت الحاكم فى نبتة .

ويرى المؤرخ الاغريقى هيردوت الذى زار مصر بين سنتى ٤٤٨ ق . م ، ٤٤٥ ق . م — فى كتابه الثالث — أن ملك الملوك الفارسى قمبيز بعد أن استطاع سلفه قورش أن يقضى على بابل سنة ٥٣٩ ق . م ويكتسح كل ممالك الشرق ، وبعد أن ضم كل مصر الى امبراطوريته الفارسية الشاسعة ، أرسل جيشا الى اثيوبيا (ويقصد مملكة كوش) ما بين سنتى ٥٢٥ ق . م ، ٥٢٢ ق . م وذلك بعد أن بعث اليها بجواسيسه فى صورة مبعوثين ، الا ذلك الجيش الفارسى هلك معظمه فى الصحراء النوبية (ولعلها صحراء العطمور) ، واضطرت فلوله الى العودة من حيث جاءت . ويصور لنا هيردوت تلك الأحداث فى صورة قصصية ، فيبين كيف استقبل ملك كوش رسل الملك الفارسى ، الذين أرسلهم للتمهيد والاستطلاع لتلك الحملة المذكورة ، مبلغا اياهم افتضاح مقصدهم الرئيسى من الزيارة . وكيف قدم لهم ملك كوش قوسا مما يستعمله أهل كوش — والذين يصفهم الملك بطول العمر نظرا لنظام أكلهم الذى يعتمد أساسا على اللبن و للحم المسلوق — آمرا اياهم بأن يعرضوا القوس على مليكهم ، متحديا اياه على أن يتمكن من شده ، ونحن لا نملك الدليل على صحة تلك الرواية (٢) .

وعندما تحدث المؤرخ « هيردوت » عن تلك المملكة قال أيضا ان الملك قمبيز الفارسى أرسل اليها جواسيسه ليكتشفوا حقيقة احدى العجائب الكبرى التى اختصت بها ، ونقصد بها « معبد الشمس » . الذى قيل ان

---

(١) Zyhlarz Die Fiktion der Kuschitischen Völker, Kush IV S. 21.

(٢) Herodotus. III, 17, 26; Shinnie, Meroe, p. 16.

لمامه « مائدة قربان » ضخمة لا تخلو من لحوم الضحايا ليلا ولا نهارا ، وذكر أن تلك المائدة تقع خارج « مدينة مروى » ، ولعل هيردوت بذلك أن يكون أول مؤرخ يذكر مدينة مروى باسمها ، بعد أن كان من قبله يكتفي بالاصطلاح العام الاغريقي الأصل « اثيوبيا » (٣) .

ولقد ثبت من حفائر جارستنج في مروى أيضا أن عبادة الشمس كانت تمارس هناك . حيث كشف في موقع غير بعيد عن العاصمة على الطريق الى الجبانة الملكية عن معبد قال انه معبد للشمس ؛ معتمدا على صورة كبيرة لقرص الشمس عثر عليها ضمن حطام الجدار الغربي للمقصورة ، واستنتج أن هذا الموقع هو نفسه الذي كان يعنيه هيردوت . واعتمادا على بعض قطع من لوح جرانيتي خاص بالملك أسبلتا عثر عليها في الجانب الغربي من الفناء الخارجي ، يمكن ارجاع أقدم انشاءات ذلك المعبد الشهير الى زمن الملك أسبلتا (٥٩٣ — ٥٦٨ ق.م) بينما جدد المعبد وزيدت عليه اضافات أخرى في القرن الأول قبل الميلاد ، اذ نحت على جدار الممر المحيط بالمقصورة الرئيسية منظر وكتابات تحمل اسم الأمير أكنداد .

وهذا المعبد يضمه سور محيط من الآجر (الطوب الأحمر المحروق) بينما المدخل مغطى بالأحجار ، ويؤدي الى المبنى الرئيسي في وسط الفناء رصيف صاعد الى فناء محاط بجدار مغطى جزء منه من الداخل بسقف تحمله الأعمدة التي تحيط بالمقصورة الكبيرة التي تضم داخلها المقصورة الرئيسية ، والتي يؤدي اليها درج على نفس محور المدخل . وجدار الفناء من الخارج (والذي يضم الأعمدة من داخله) مزدان بمجموعة من الصور والرسوم الملونة ، صنعت من الملاط والجبس ولذلك زال معظمها . وما تبقى منها صورة تقليدية لأسرى الحرب على الجزء الأسفل من الجدار ، يحمل كل أسير اسمه مكتوبا بالهيروغليفية داخل العلامة شبه البيضاوية المعروفة باسم « خرطوش » ، بحيث يغطي الاسم معظم جسم الأسير ، وعلى الجدران الأخرى بقايا مناظر الاحتفالات بالنصر ، وقد تأثرت كثيرا بفعل العوامل

---

(٣) Herodotus, II, 29; Shinnie, Meroe, p. 151.

الطبيعية منذ أن كشف عنها جارستانج فى مطلع هذا القرن ـ منها ما يصور الملك جالسا على عرشه يستعرض مهرجانا للنصر . وسواء صدق رأى جارستانج بالنسبة لاعتبار هذا المبنى نفسه « معبد الشمس » الذى تحدث عنه المؤرخ هيردوت من قبل ، فان عبادة الشمس فى صورة الاله « آمون ـــ رع » فى مملكة مروى مسألة لا تحتاج الى دليل .

وقبيل فتح الاســـكندر الأكبر مصر ، استطاع ملك ، كان يحكم النوبة السفلى ويدعى « خبباش Chababash (بالمصرية Hmbs—wtn) بين سنتى ٣٣٨ ، ٣٣٥ ق . م — وكان يسيطر على النوبة السفلى مناهضا للملك المروى نستاسن Nastasen (٣٣٥ — ٣١٠ق.م) — أن ينتهز فرصة الثورة التى قامت فى مصر ضد الحكم الفارسى ويدعى لنفسه حكم مصر .

وعلى اللوح التذكارى للملك نستاسن (رقم ٢٢٦٨ بالقسم المصرى متحف برلين الشرقية) ، ذكر الملك كيف انه أرسل جيشيـــا لمواجهة غريمة النوبى « خبباش » ، وكيف هزمه شر هزيمة (٤) .. واللوح من حجر الجرانيت ، ارتفاعه ١٦٣ سم وعرضه ١٢٧ سم وكان فى الأصل قائما فى مدينة نبتة ، والجزء العلوى من اللوح — كما هى العادة المتبعة — يحمل مناظر مصورة ، يليه نص هيروغليفى مصرى مطول ، يعتبر آخر نص من هذا النوع الطويل يكتب ويقام فى كوش طبقا لمعلوماتنا الحالية . وينتهى عند قاعدته بعلامة تمثل « الأرض » . واللوح متوج عند قمته بالرمز الهيروغليفى الذى يعنى كلمة « السماء » (p. t) ، كأنما قصد باللوح أن يمثل جزءا من أحداث ذلك العالم الذى تظلله السماء ، وتدور وقائعه فوق الأرض . بينما يتوسط السماء قرص الشمس ذو الجناحين ، يفردهما حماية للملك وآل بيته . وقسم المنظر من تحتها قسمين : القسم الأيمن يحمل صور الملك ومن خلفه زوجته الملكة

٢١

(٤) Nubien und Sudan im Altertum pp. 23-27; Schöfer. Die Aethiopische Königsinschrift. Urk, III. 137 ff. LDV. 16.

(٥) Kienitz. Fr: K., Die Politische Geschichte vom 7. bis 4. Jh. v. d. Zeitwende; S. 185 ff. Nr. 9. Konig Chabzbasch

سخمخ Sechmech ، وهو يقدم للاله آمون (المصور براس كبش تلتف قرناه من حول الأذنين وفوق رأسه قرص الشمس والريشتان اللتان تمثلان تاج المعبود آمون) عقدا وقلادة كقربان . بينما تقدم الملكة قربانا سائلا وتحمل بيدها اليمنى آلة موسيقية Sistrum (صلصلـــة) ، وكانت تلك الآلـــة الموسيقية تستعمل عادة فى بعض الطقوس الدينية ، وعلى الأخص ما يتعلق منها بالمعبودة حتحور . أما القسم الأيسر من المنظر العلوى فيصور الملك ايضا ومن خلفه أمه الملكة المدعاة بلخ Pelech وهما يقدمان نفس القربان لصورة المعبود آمون فى شكله الآدمى (الممثل فى هيئة شاب على رأيـــه ريشتان طويلتان ويتدلى من خلف الراس شريط طويل) . ومن حول المنظر تنتشر الكتابات باللغة المصرية المصورة تشرح عمليات تقديم القرابين (٦) .

وقد يبدو مفيدا أن نستعرض الأحداث التاريخية التى وردت فى هذا اللوح وضمنها عملية تتويج الملك : . . . لقد كنت « الإبن الطيب » (ولى العهد) فى مروى عندما استدعانى والدى الطيب آمون فى نبتة فطلبت من الاخوة الملكين (بقية الأمراء) أن يصحبونى ليكونوا معى ولكنهم ردوا على بالنفى قائلين : لا لن نذهب معك — الى الاله آمون فى نبتة حيث تتوج — فأنت ابنة الطيب (المقصود بالدعوة) ، ان آمون فى نبتة والدك يحبك أنت . (كناية عن مبايعة الأمراء لولى العهد) . حينئذ أسرعت مبكرا (مرتحلا الى الشمال) فبلغت واحة استرس Istris (ربما فى صحراء بيوضة) حيث نصبت معسكرى وقضيت الليل . . . ولقد بلغنى (ما يقوله الناس) فى نبتة من أننى سأصبح ملكا على البلاد . وفى الصباح الباكر استأنفت سفرى وبلغت (مكانا يقال له) القمة أو المرتفع ، انه الأسد الكبير والحديقة (؟) التى خرج منها الملك بعنخى — الرا Alara—Pianch (ربما كان هو نفسه الرا ، وان كلمة بعنخى وضعت لتعنى دوام الحياة) .

« وعندما أصبحت ديار آمون على يسارى أقبل موظفو معبد آمون فى نبته (وغيرهم) من الكبار . . . وقالوا : ان والدك آمون فى نبته قد وضع تحت قدميك

(٦) Hintze, Civilizations, pl. 75.

حكم « تاستى » (الاسم القديم للنوبة) ، ثم عبرت النهر الى بيت (الاله) رع . (المقصود هو آمون ــ رع) ، وتركت العربة تصعد فلفت المعبد الكبير ... وفتحت البوابات الضخمة ... (هنالك) سلمنى وادى الطيب آمون فى نبتة ملكية « تاستى » . وتيجان الملك حورسيوتف ، وعزم الملك بعنخى ــ الرا ... لقد أعطانى ملكية تاستى وعلوه Aloe والأقواس التسعة (أرض أصحاب الأقواس) والأرضين الخصبتين ... (وعندما) أقبل (الأمير النوبى) خمبس ــ وتن (خبباش) أرسلت اليه جيشا من دارو Daro هزم قواته . ونهبت مراكبه وأراضيه وماشيته وقطعانه وكل ما يمكن أن يعيش عليه الناس من كورتى Korti حتى تارودى Tarudi

وأرسلت جيشا ضد العدو جنوبى Ndknt وحاربه وهزمه هزيمة كبيرة وأسرت أميرة Ijhk ، وسقت كل النساء أسرى وكل الحيوانات مع ذهب كثير ، ٢٩٫٦٥٩ من الأبقار و٥٥٫٣٤٩ من الماعز و٢٢٣٦ من النساء ، وأمرت بتدمير ما يغذى كل البلاد ، ثم قدمت لك ــ يا آمون نبتة ــ (قربانا من الشموع) .

وأرسلت جيشا ضد العدو فى أرض Rbl وفى أرض Ikrkrh وهزمته وأسرت الأمير Rbhda (ونهبت) كل ماله من الذهب الكثير الذى لا يمكن عده (بالاضافة الى) ٢٣٢١٦ من الأبقار ، ٦٣١٠٧ من الاغنام ، وكذا حريمه مع كل ما يمكن أن يعيش عليه الناس ، وسلمت الأمير لوالدى آمون فى نبتة ... » .

كما يذكر الملك فى نفس النص انه ارسل حملة الى العدو Irrs (قبائل بدوية شمالى عطبرة) « وهزمته وأسرت امير ماس Mas و Iosh ونهبت ممتلكاته » وسلمه الملك للاله آمون فى نبتة . « ثم أرسلت جيشا ضد العدو Srhrt. وهزمته وأسرت الأمير ... » .

« وأرسلت حملة كبيرة ضد العدو Mjhk ، واستسلم لى العدو عند شجرة جميز Srsr وعندما سرقت هدايا الملك أسبلتا (التى اهداها الملك)

للاله آمون فى جماتن Gematen [= كوة الحالية] ، أرسلت حملة لتعاقب العدو Mdd (أ ، Mjj) (البجا ؟) .... الخ ... » .

والواقع أن معظم النصوص التى خلفها ملوك ذلك العصر باللغة المصرية على قلتها ، كانت تتخذ طابعا تقليديا كالتقارير الرسمية ، فكانت رحلة التتويج التى تنطلق من مروى ، تبدأ بزيارة الأماكن المقدسة الأربعة وأولها نبتة حيث يتوج الملك فى معبد آمون . ثم يتوجه الى مدينة تير Ter عند الشلال الرابع وكوه عند الشلال الثالث وأخيرا الى بنبس Pnubs (Tumbus) فوق جزيرة أرجو Argo جنوبى الشلال الثالث ، وينتهى النص بذكر النشاط الحربى فى صيفة الحوليات .

أما الأعداء الذين وجهت اليهم الحملات فكانوا فى الغالب مجموعة القبائل الرحل الضاربين فى الصحراوين الشرقية والغربية ، والذين كان خطرهم على مدن الوادى الأخضر محققا . أما احتمال أن يكون ضمن هؤلاء الأعداء أحد من أكسوم فلا يقوم عليه دليل (انظر بازل دافيدسن : افريقيا تحت أضواء جديدة ترجمة جمال أحمد ، ص ٢٩٠) .

هذا ويقسم بعض المؤرخين مملكة مروى قسمين ، القسم الأول يبدأ بعصر الملك أسبلتا وينتهى بوفاة الملك نستاسن صاحب النص المذكور .

واعتقد ان محاولاتنا فى سبيل وضع قائمة بالتتابع الزمنى لملوك مروى مازالت فى أول الطريق ، ولكن ذلك لا يمنع أن نسجل واحدة من هذه المحاولات التى توصل اليها علم الآثار المروية حتى الآن وهى القائمة المعدلة للأستاذ هنتزا (٧) .

---

(٧) Hintze, Inschriften, p. 17. 19. Studien, 33; Shinnie Meroe, p. 58—61 Wenig, MIO, 13, 1—44 :

ويعتقد Wenig أن الدفن انتقل من نورى الى البركل ثم الى البجراوية ، وبناء عليه عدل فى زمن حكم الملك أركك أمانى ليصبح ٣١٥ — ٢٧٠ ق . م .

امانى باخى Amanibakhi (نورى ؟) ٣١٠ — ٢٩٥ ق ٠م

(ارك — أمانى = Arkakamani وهو الاسم القديم

(البجراوية الجنوبية رقم ٦) ٢٧٠ — ٢٦٠ ق ٠ م

(يلاحظ انتقال الدفن الى مروى « الجراوية »)

امانى — سلو Amanislo (البجراوية الجنوبية رقم ٥)

٢٧٥ — ٢٦٠ ق ٠٠

المكة برتره ؟ Bartare (البجراوية الجنوبية رقم ١٠)

٢٦٠ — ٢٥٠ ق ٠ م

امانى .. تيكا Amani .. tekha (البجراوية الشمالية ٤)

٢٥٠ — ٢٣٥ ق ٠ م

أرنخ امانى Arnekhamani (البجراوية الشمالية ٥٣)

٢٣٥ — ٢١٨ ق ٠ م (٨)

ارك — أمانى (أركمانى) Ergamenes II – Arqamani

(البجراوية الشمالية ٧) ٢١٨ — ٩٥ ق ٠ م

تابرقا (طابرقه) Tabirqa = ? Adikhalamani

(البجراوية الشمالية ٩) ٢٠٠ — ١٨٥ ق ٠ م

... اوال ؟ iwal ... (رقم ٨ بالبجراوية الشمالية) ١٨٥ — ١٧٠ ق ٠ م

الملكة شنكداخيته (Shanakdakhete) (رقم ١١) ١٧٠ — ١٦٠ ق ٠ م (٩)

ك... K رقم ١٢ ١٦٠ — ١٤٥ ق ٠ م

(نقرنسان) (Naqrinsan) رقم ١٣ ١٤٥ — ١٢٠ ق ٠ م

(تنيد أمانى) (Tanyidamani) رقم ٢٠ ١٢٠ — ١٠٠ ق ٠ م

(... خالى) ؟ Khale رقم ٢١ ١٠٠ — ٨٠ ق ٠ م (١٠)

---

(٨) صاحب معبد الأسد بالمصورات الصفراء ، وهناك رأس تمثال برونزى لابزيس من كوه يحمل اسم هذا الملك (المتحف البريطانى رقم ٦٣٥٨٥) أنظر LAe, I, 3, S. 449.

(٩) صاحبة أقدم نص هيروغليفية المروية يمكن تاريخه على معبد آمون بالنقعة .

(١٠) صاحب اللوح رقم MFA 23.736 فى متحف بوستن .

(...) أماني amani ...رقم ١٤ ٨٠ — ٦٥ ق . م

(أماني — خبالا) Amanikhabala رقم ٢ ٦٥ — ٤١ ق . م

الملكة أماني شخيته Amanishakhete رقم ٦ ٤١ — ١٢ ق . م (١١)

نتك — أماني Natakamani رقم ٢ ١٢ ق . م — ١٢ م

الملكة أماني — Amanitere رقم ١ ١٢ ق . م ١٢م (١٢)

شركارير (Sherkarer) [وهو الابن الثالث للملك نتك أماني]

رقم ١٠ ١٢ — ١٧م

بساكار (Pisakar) رقم ١٥ ١٧ — ٣٥م

أماني نرقيده Amani-taraqide رقم ١٦ ٣٥ — ٤٥م

الملكة أماني — تنميده Amani—tenmemide رقم ١٧ ٤٥ — ٦٢م

أماني — خناشان Amani—khatashan رقم ١٨ ٦٢ — ٨٥م

تاركنوال Tarekeniwal رقم ١٩ ٨٥ — ١٠٣م (١٣)

أرتنيس — بخه (Aritenyesbekhe) رقم ٣٤ ١٠٨ — ١٣٢م

أقر كأماني (Aqrak—amani) رقم ٤٠ ١٣٢ — ١٣٧م

ادقتالي (Adeqetali) رقم ٤١ ١٣٧ — ١٤٦م

تكيد أماني Takid-amani رقم ٢٩ ١٤٦ — ١٦٥م

. . . . ? (.. reqerem) رقم ٣٠ ١٦٥ — ١٨٤م (١٤)

. . . . رقم ٣٧ ١٨٤ — ١٩٤م

(Teritedakhatey) رقم ٣٨ ١٩٤ — ٢٠٩م

---

(١١) حيث عثر فرلينى على كنز ملوك مروى — وعثر لها فى مروى على مسلة بالمروية .

(١٢) أسماؤهما كتبت بالهيروغليفية المروية وبالمصرية على معبد الأسد بالنقعة وكانت السبب فى التعرف على نطق الحروف المروية . انظر اللوحة رقم ١١ ب .

(١٣) صاحب آخر نص كتب بالهيروغليفية المروية .

(١٤) صاحب كبش سوبا الذى كان موجودا فى الكاتدرائية الكاثوليكية بالخرطوم ثم نقل الى المتحف القومى الجديد بالخرطوم ؛ أنظر Shinnie, Meroe p. 97. الذى يرى أن هذا التاريخ متأخر نسبيا ، إذا ما أخذ فى الاعتبار طراز النحت وشكل الكتابة على قاعدة التمثال .

أريسبخة	Aryesbekhe	رقم ٣٦	٢٠٩ — ٢٢٨م
ترتنيدا	Teritnide	رقم ٥١	٢٢٨ — ٢٤٦م
أرتنيدا	Aretnide	رقم ٣٥	٢٤٦ — ٠٠٠م
تقريد أمانى	Teqerideamani	رقم ٢٨	٢٤٦ — ٢٦٦م (١٥)

(ويذكر Wenig انه رقم ١١ وأن الأول حكم ما بين ٩٠ — ١١٤م ودفن فى الهرم رقم ٢٨) .

(ملك غير معروف)	Tamelerdeamani	رقم ٢٧	٢٦٦ — ٢٨٣م
يسبخمانى	Yesbekheamani	رقم ٢٤	٢٨٣ — ٣٠٠م
(ملك غير معروف)	Lakhideamani	رقم ٢٦	٣٠٠ — ٣٠٨م
مالى — قوروبار	Maleqerebar	رقم ٢٥	٣٠٨ — ٣٢٠م

---

(١٥) عثر على قاعدة تمثال فى معبد الأسد بمروى تحمل اسم الملك نقريد أمانى وهى الأثر الوحيد الذى أرخ المعبد على اساسه .
انظر Shinnie, Meroe, p. 84.

أ ــ علاقة مملكة مروى بالمملكة البطلمية

فى مصر

كان الملك المروى نستاسن Nastasen يحكم فى مروى ، عندما قام الاسكندر الأكبر بفتح مصر فى نهاية سنة ٣٣٢ ق . م وبداية سنة ٣٣١ ق . م

وفى زمن الملوك البطالمة ، خلفاء الاسكندر الأكبر فى مصر ازدهرت مملكة مروى واستطاعت أن تحتل مكانا مرموقا طوال المدة التى استقر فيها خلفاء الاسكندر فى مصر منذ الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد حتى دخول الرومان مصر فى الثلث الأخير من القرن الأول قبل الميلاد . وخلال تلك المدة سيطرت مملكة مروى على **التجارة الافريقية** الى دول العالم القديم حــول البحر المتوسط . وكانت تلك التجارة تعود عليها بالربح الوفير . بالاضافة الى المنتجات التقليدية كالعاج ، وريش النعام ، والأبنوس ، وجلود الحيوانات النادرة ، ربما أصبح الذهب والحديد أيضا ضمن تلك المنتجات المصدرة . ولا جدال فى أن تلك التجارة كانت من أهم مصادر ثراء الدول فى العــالم القديم . بل ان الصراع كان يدور بين الدول حينذاك فى سبيل السيطرة على طرق التجارة العالمية وعــلى الأخص تجارة الشرق الأقصى عبر البحــر الأحمر . فنشأ البطالمة الموانى على شاطىء البحر الأحمر لجذب التجــارة العالمية الى بلادهم (١) . وليحاولوا منافسة الأنباط الذين سيطروا عــلى الطريق البرى من الخليج الفارسى عبر الصحراء الى « البطراء » عاصمة النبطيين بين البحر الميت وخليج العقبة .

والملاحظ ان هذا العامل التجارى الها مقد لعب دورا كبيرا فى ازدهار

---

(١) الموانى البطلمية على شاطىء البحر الأحمر هى :
Berinice, Myos–hormos, Philotera.

المملكة المروية فى السودان القديم . وفى القرن الأول الميلادى بدأت مملكة اكسوم ، التى قامت فى المنطقة الجبلية الشمالية لاثيوبيا الحالية ، تنافس مملكة مروى للسيطرة على التجارة الافريقية ، فأثر ذلك تدريجيا على ازدهار مملكة مروى .

وكانت منطقة النوبة السفلى منطقة محايدة ، وهى تلك المنطقة المعروفة فى الوثائق باسم ارض الاثنى عشر آر (Ar = ميل) ، وترجمها الاغريق « دودى — كاس — خوينوس » Dodekaschoinos وتقع بين مملكة مصر البطلمية فى الشمال ، ومملكة مروى فى الجنوب ، وما بين المنتين عند أسوان وحتى تاكومبسو Takompso الى الشمال قليلا من هيراسيكامينوس (المحرقة) ، وكانت علاقة مملكة مروى بالبطالمة ودية على وجه العموم ، وكان كهنة ايزيس فى فيلاى يعلنون أن تلك المنطقة خاصة بمعبودتهم ، وادعوا ملكيتها ، معتمدين على انتشار مذهب ايزيس فى كل من مصر والسودان القديم ، فكما يذكر المؤرخ ديودور الصقلى كان للكهنة سلطة قتل الملك وتعيين غيره طبقا للطقوس، ويذكر المؤرخ ديودور الصقلى فى كتابه الثالث عن اثيوبيا (مروى) أن الكهنة كانوا يمارسون فرض سلطانهم على الملوك فى مروى ، وأنه فى زمن ثانى ملوك البطالمة حاول الملك الاثيوبى (المروى) ارجمينيس Ergamenes أن يعيد الأمور الى نصابها ، وكيف أنه خرج بجنوده الى الأرض المقدسة حيث المقصورة الاثيوبية الذهبية (ربما يقصد معبد ايزيس) ، واخضع جميع الكهنة وخالف التقليد القديم (٢) . ولقد تبين من مقارنة أقوال ديودور مع ما جاء على الآثار أن المقصود بذلك الملك أرك — أمانى — قو Ark-Amani-qo وكان يقرأ قديما أركك — أمانى Arkakamani (الملك المروى الذى حكم فى الفترة بين سنتى ٢٧٠ — ٢٦٠ ق . م وكان معاصرا للملك بطليموس الثانى الملقب بفيلادلفوس = المحب لأخته ٢٨٤ — ٢٤٦ ق . م) . وربما كان سبب الخطأ الذى وقع فيه المؤرخ ديدور الصقلى وذكره لاسم ارجمينيس Ergamenes. II . (وهو النطق الاغريقى لاسم الملك المروى أركمانى Arkamani ٢١٨ —

(٢) Hintze, Civilizations, p. 23; Inschriften, S. 16/17; Shinnie. Meroe, pp. 16/17; Bevan, 244.

٢٠٠ ق . م) كمعاصر لبطليموس الثانى فيلادلفوس هو التقارب فى نطق اسمه مع نطق اسم الملك المروى اركك ــ أمانى Arkakamani هذا بالاضافة الى شهرة الملك المروى المدعو ارجمينيس Ergamenes (Arkamani) فى العالم الاغريقى فى ذلك الوقت (٣) ، وذلك أن المؤرخ ديودور الصقلى عاد وذكر فى نفس الموضع السابق أن الملك المروى المذكور قد تأثر بالحضارة الاغريقية ، وانه درس الفلسفة ، ولو أننا لا نملك دليلا على صحة هــذا الزعم .

ويرتبط بثورة الملك أرك ــ أمانى ــ قو ضد الكهنة عموما ، رفضــه الاتسياع لسنة السلف فى استمرار الدفن بالقرب من العاصمة الدينية القديمة نبتة فى نورى ، والانتقال بالدفن الى العاصمة مروى بالنسبة لأفراد البيت المروى المالك ، حتى لا يترك الفرصة مواتية للكهنة مرة أخرى لاســتعادة سيطرتهم .

ويذكر المؤرخ ديودور أن الملك بطليموس الثانى قام بحملة الى اثيوبيا (مملكة مروى) ربما كان مرجعها الى رغبة ذلك الملك فى استكشاف تلك البلاد ، وتأمين الطريق التجارى ، حيث كانت الحاجة ماسة الى الحاصلات الافريقية وعلى الأخص الذهب والفيلة للقتال . ولكن الواضح أن نظــرة البطالمة الى النوبة عموما والى مملكة مروى لم يكن الغرض منها محاولة ضم تلك البلاد . فلقد ذكرت المصــادر ايضــا (Bevan, op. cit., p. 76) أن رجلا اغريقيا يدعى « داليون » Dalion من عصر بطليموس الثانى قد استطاع ، لأول مرة ، أن يصــل الى أبعد من مروى وانه الف كتابا عن اثيوبيا (مروى) . ويذكر المؤرخ بيفان Bevan انه استقى هذه المعلومات من كتاب التاريخ الطبيعى لبلينى (٤) . ويذكر نفس المصدر أن رجلا اغريقيا آخر يدعى سيمونيدس Simonides قد عاش خمس سنوات فى مروى

---

(٣) Hintze, Inschiften, S. 173 ; Hycock, Kush xiii, 264 f.

(٤) Pliny, Nat. History VI, 194.

وكتب كتابا عن اثيوبيا ، وهناك اقصوصة من بردية باللغة الاغريقية عثر عليها فى الفنتين (أسوان) ولعلها تقرير من الحاكم البطلمى هناك الى الملك الذى يحتمل أنه بطليموس الثانى ، وفيها ما يشير الى أنها ذات صلة بحملة بطليموس الثانى على مملكة مروى (٥) ، ومعروف ايضا أن البطالمة اقاموا مجموعة من المراكز المحصنة على طول الساحل الشرقى لاستقبال التجارة وعلى الأخص الفيلة الافريقية ، ومنها ميناء « بطليموس ثيرون » على شاطىء البحر الأحمر بين بورتسودان والحدود الارترية لتسهيل التجارة مع الشرق الأقصى « وبرنيس »Berenice عند مصوع ، و « أرسينوى » بالقرب من باب المندب ؛ ومحطة أخرى تحمل اسم « برنيس » عند مدخل باب المندب من ناحية خليج عدن (٦) . ومما يذكر أن الملك المروى أركك — أمانى لمعاصر للملك بطليموس الثانى هو أول من أمر ببناء هرمه بالقرب من العاصمة نفسها ، بعد أن استمر دفن ملوك مروى لفترة طويلة فى الشمال فى نورى حيث العاصمة الدينية القديمة نبتة ، على الرغم من نقل العاصمه والملك والحكم الى مروى منذ زمن الملك أسبلتا ٥٩٢ — ٥٦٨ ق . م .

ومما هو جدير بالذكر أيضا أن يعثر على عملة برونزية للملك بطليموس الثالث فى حفائر المجموعة المركبة بالمصورات الصفراء . كما استعملت الأبجدية الاغريقية الى جانب الأبجدية المروية كعلامات معمارية تساعد فى وضع العناصر المعمارية فى عمارة المصورات فى أماكنها بعد نحتها واعدادها .

وظهر أثر تلك الصلات الحضارية بين البطالمة وبين مملكة مروى متمثلا فى عمارة منطقة المصورات الصفراء وعلى الأخص فى معبد الأسد الذى بناه الملك ارنخ — امانى Arnekhamani (٢٣٥ — ٢١٨ ق.م) ، فالكتابة المصرية على المعبد اتخذت طابع الكتابة الهيروغليفية التى كانت مستعملة فى زمن البطالمة المبكر ، وتحاكى تلك النصوص المسجلة على معبد ايزيس فى فيلاى (٧) . وكذلك اتخذ الملك المروى ارنخ — أمانى Arnekhamani

---

(٥) Revan, op. cit., p. 77.

(٦) Shinnie, op. cit., p. 34.

(٧) Hintze, Inschriften S. 22.

لنفسه لقب الملك بطليموس الرابع ٢٢١ — ٢٠٣ ق . م . «خبر — كا — رع»، ومعناه « روح الاله رع دائمة » ، وقد حاكى كلاهما فى ذلك الملك سنوسرت الأول من الدولة الوسطى والذى كان يلقب أيضا « خبر — كا — رع » ، كما أن الكتابات المنقوشة على معبد الأسد تشبه الى حد كبير كتابات المعابد البطلمية فى جزيرة فيلاى أسوان ودندرة وادفوا وطيبة من حيث اللغة وطريقة الكتابة . (انظر اللوحتين رقمى ١٤ ، ١٥) .

وهناك المعبد الذى أقامه الملك المروى ارجمنيس Ergamenes وهو الملك المروى أرك — أمانى ، وقد حكم ما بين سنتى ٢١٨ — ١٩٥ ق . م ، فى دكه Pselcis) Dakka بالنوبة السفلى) للمعبود توت أو جحوتى — رب القلم والمعرفة وكان يصور على هيئة طائر الأيبس Ibis ويشبه أبو قردان ، أو على هيئة انسان له رأس طائر الأيبس اختاره المصريون رمزا للمعرفة لصبره ودأبه فى البحث عن غذائه بين الحقول ، ولا نتبين فيه الا أثر الفن المصرى القديم بدون أى تأثير اغريقى . وهو نفس المعبد الذى أضاف اليه الملك بطليموس الرابع بعض الاضافات (٨).

وفى زمن الملك المروى Adikhalamani خليفة الملك المروى ارجمنيس Ergamenes(ويسمى أحيانا فى المراجع القديمة Ezekher—Amun ، الذى حكم بين سنتى ٢٠٠ — و ١٨٥ ق . م ، وهو صاحب الهرم رقم ٩ بجبانة البجراوية الشمالية) ، شيدت مقصورة فى دبود Dabod فى النوبة السفلى تحمل اسمه ، كانت على الطراز المصرى ايضا ولا يبدو فيها أثر العمارة الاغريقية (٩) .

وذكر عن هذا الملك المروى Adikhalamani انه استغل فرصة الثورة

---

(٨) مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٥ وهناك يذكر :
Woolley and Maclver, Karanog, The Roman—Nubian Cemetery, p. 85.

(٩) Porter and Moss VII, 46; History. pp. 158/9.

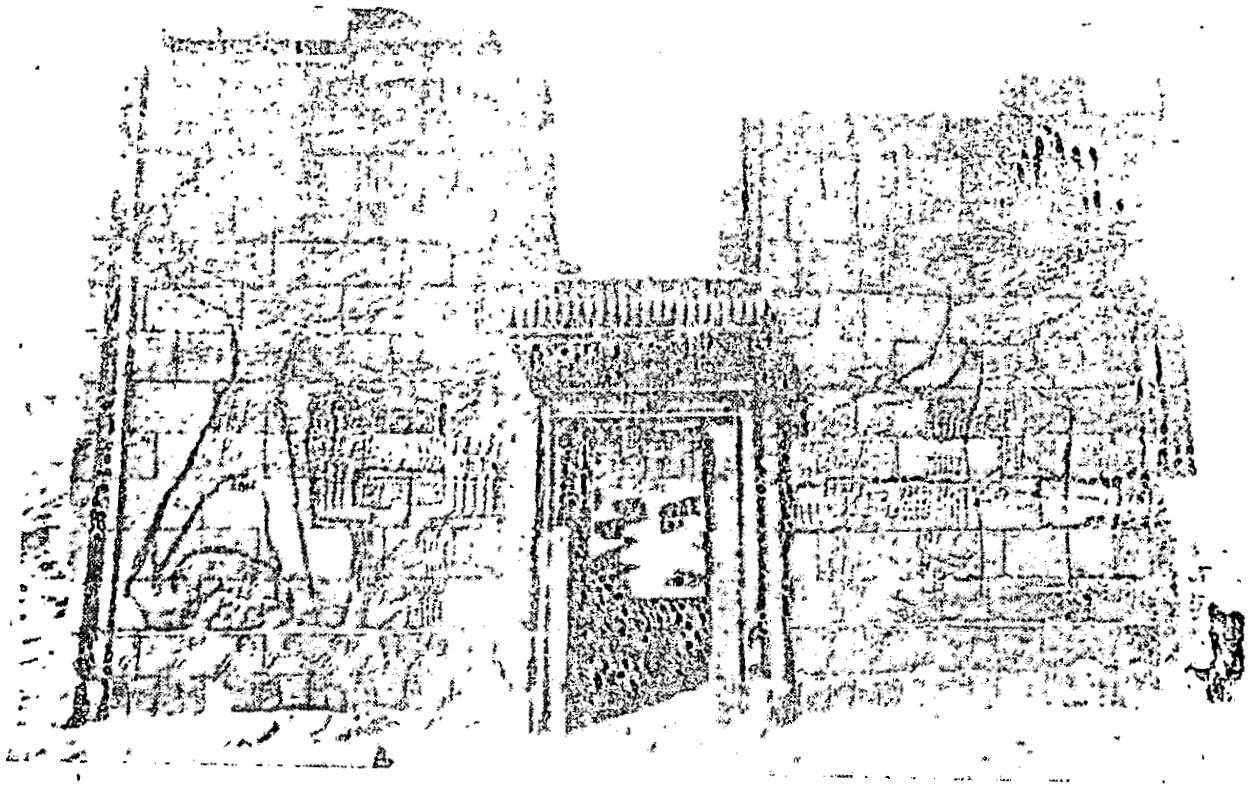

واجهة معبد الأسد بالنقعة
الملك نتك أمـانى ، والملكة أمـانى تيره

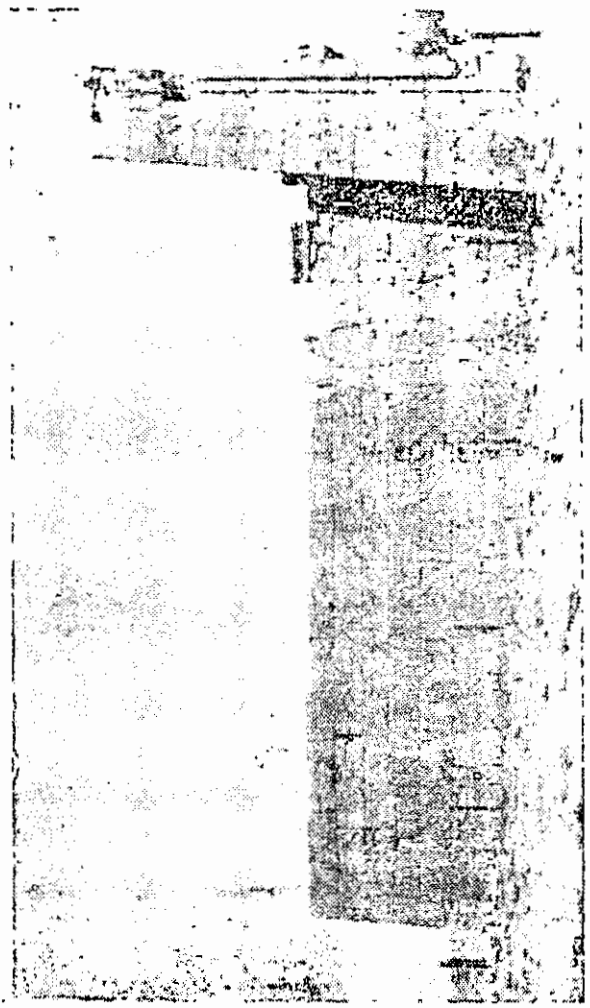

أحد جوانب مسجد الأسد

التى قامت فى مصر ضـــد حكم الملك بطليموس الخامس الملقب بالظاهر Epiphapes ٢٠٣ — ١٨١ ق . م وأسرع بالاســـتيلاء عـــلى النوبـــة السفلى (١٠) . وكذلك عثر فى النوبة السفلى تحت موقع معبد كلابشة ؛ الذى أقامه فيما بعد الامبراطور الرومانى أغسطس أكتافيانوس ، عـــلى آثار تحمل اسم الملك بطليموس التاسع الملقب بالمنقذ (سوتر الثانى) ابن الملكـــة كليوباترة الثالثة ١١٦ — ١٠١ ق . م . (١١) . وفى زمن الملك بطليموس الثالث عشر (٨٠ — ٥١ ق . م .) أقيم معبد صغير فى « جزيرة بجة » الى الغرب من جزيرة فيلاى جنوبى خزان أسوان ، وعلى نفس الجزيرة التى عمر فيها ملوك الدولة الحديثة ، والذى يحتمل ان ملوك الدولة الوسطى ايضا قد اقاموا فيها قلعة من قبل .

ويذكر أنه خـــلال الأيام الأخيرة من حياة الملكة الشـــهيرة كليوباترة السابعة ، انها أرسلت ابنها من القائد الرومانى انطونيوس الى الجنوب لكى تبعده عن خطر الرومان الذين كانوا يدقون أبواب مصر حينذاك بعنف شديد (١٢).

---

(١٠) Bevan, op. cit., p. 245.

(١١) Bevan p. 260/261

(١٢) De Meulenaere, Potemee ix Soter ii à Kallabcha, Chronique d'Égypte xxxvi. No. 71, 1961, pp. 98/105.

٢ ــ تطور العلاقات بين مملكة مروى وبين الامبراطورية الرومانية

فى اول أغسطس سنة ٣٠ ق . م استطاع القائد الرومانى جايوس بوليوس قيصر أوكتافيانوس ــ والذى أصبح فيما بعد أول امبراطور رومانى باسم أغسطس أكتافيانوس (٢٧ ق . م ــ ١٤ م) ــ فتح مدينة الاسكندرية عاصمة المملكة البطلمية فى مصر ، بعد أن هزم قوات كليوباترة السابعة الشهيرة المتحالفة مع غريمه أنطونيوس فى موقعة أكتيوم البحرية على الشاطىء الغربى لبلاد اليونان . ومن يومها دخلت مصر فى حوزة الامبراطورية الرومانية المترامية الأطراف .

والواقع أن المصادر التى تتضمن اشارات عن العلاقات بين مملكة مروى وبين الرومان ينحصر معظمها فيما ورد فى أقوال المؤرخين : أمثال بلينى الأكبر وديو كاسيوس وسترابون ، وبعضها اشارت اليه آثار ذلك العهد سواء منها الآثار الرومانية أو المروية :

« نقش انقرة » ــ الذى يحتوى على موجز لأعمال الامبراطور أغسطس أكتافيانوس ؛ وهو نص لاتينى مع الترجمة اليونانية يحمل عنوان « أعمال أغسطس المؤله » وقد عثر عليه عام ١٥٥٥ فى انقرة (١) يشير الى مدى اهتمام الرومان بأمر توسيع حدود الامبراطورية نحو الجنوب ، عندما ورد فى النص ذكر حملة أمر الامبراطور بارسالها الى اثيوبيا (مملكة مروى) حيث قال : « بأمرى وتحت رعايتى اقتيد جيشان فى نفس الوقت تقريبا ، أحدهما الى اثيوبيا (مملكة مروى)والآخر الى بلاد العرب

---

(١) انظر عبد اللطيف أحمد على « مصر الرومانية فى ضوء الأوراق البردية » ، ١٩٦٠ القاهرة ، ص ٤٨ وما بعدها ؛

E.G. Hardy. The Monumentum Ancyranum. Oxford. pp. 121/125.

التى تسمى بالسعيدة (اليمن) ، وقد هلكت قوات ضخمة من كلا الشعبين فى المعركة ، وسقطت بلدان عديدة ، ففى اثيوبيا تقدم (الجيش) حتى بلدة نبتة ، وهى اقرب مكان من مروى ، وفى بلاد العرب تقدم (الجيش) حتى بلدة ماريبا فى اراضى السبئيين » .

ولقد اتضح أن الحملة الاثيوبية التى تحدث عنها اثر انقرة وقعت بعد حملة اليمن الفاشلة التى كانت قد قامت فى سنتى ٢٥/٢٤ ق . م تحت قيادة ثانى ولاة الرومان فى مصر والمدعو اليوس جاللوس Aelius Gallus (٢٦/٢٤ ق.م)، وكان الغرض منها تحويل الطريق التجارى فى البحر الأحمر الى الموانى المصرية الخاضعة للرومان على شاطىء ذلك البحر مثل « برنيقى » Berenike المتاخمة لمدينة « قفط » و « ميوس هرموس » Myos-hormos ثم فيلوترا Philotera ، بعد أن كان حكرا على القبائل العربية فى اليمن (Eudaemon) أو Felix Arabia العرب السعيدة وكذلك القبائل الصومالية على الجانب الآخر من البحر .

وفى وثيقة أخرى هامة — هى نص مكتوب بالمصرية المصورة واللاتينية ولوناتية عثر عليه مسجلا على حجر جرانيتى فى جزيرة فيلاى Philae جنوبى اسوان ، ويعود الى السنة الأولى من حكم القيصر اغسطس اكتافيانوس (١٥ ابريل عام ٢٩ ق . م) ، يعدد أول والى رومانى على مصر المدعو كورنانوس جاللوس Cornelius-Gallus — والذى كان يعتبر أحد قواد اكتافيانوس — انتصاراته فيذكر انه « استمع الى سفراء ملوك الاثيوبيين عند فيلاى ، وقبل ذلك الملك تحت الحماية ، وعينه حاكما على تريباكنساخونوس الاثيوبية » (والكلمة اغريقية ومعناها ثلاثون اسخوينوس، والاسخوينوس = ٦٠ استاديون وهو يساوى ١٨٥ مترا اى مسافة الـ ٣٣٣ كيلو مترا التى تمتد جنوبى الشلال الأول عند أسوان وحتى الشلال الثانى عند وادى حلفا = منطقة النوبى السفلى) (٢) .

---

(٢) عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق ، ص٥٩ . وما بعدها . وهامش ٦٢ ثم

Milne, Grafton, A History of Egypt Under Roman Rule, pp. 5/6 London, 1924.

ومعنى ذلك ان ملك مروى قبل حماية الرومان كما حدث من قبل بالنسبة لبرقة ومصر قبل أن تقعا تحت الحكم الرومانى المباشر ، ونحن لا نملك ما يؤيد به اقوال ذلك الوالى الرومانى ؛ ولكن المؤكد أن ذلك هو أول اتصال فعلى بين مملكة مروى من جهة وبين الامبراطورية الرومانية من جهة اخرى .

أما ما ورد فى «أثر أنقرة» على لسان الامبراطور أغسطس اكتافيانوس عن ارسال حملة الى مملكة مروى ، فكان المقصود منه هو تلك الحملة التى قادها ثالث ولاة الرومان على مصر المدعو بترونيس (٢٤/٢١ ق . م (Petronius لمواجهة الحملة التى قام بها ملوك مروى ووصلوا حتى اسوان . بعد أن نقضوا الاتفاق الذى عقده معهم أول ولاة الرومان على مصر ، منتهزين فرصة سحب بعض القوات الرومانية من مصر لتنضم الى حملة اليمن الفاشلة . وكان سير الأحداث كما يلى (٣) :

تمكنت القوات المروية من الاعداد لحملة بقيادة الملك ترتقاس Teriteqas وزوجته أمانى ــ ريناس Amanirenas (وهى التى لقبتها المصادر الكلاسيكية بالكنداكة Candace-Kandake ، وهى كلمة معناها اما الملكة الحاكمة أو الملكة الأم ، ووردت الكلمة فى الوثائق الاغريقية الرومانية Candace وهى القراءة الكلاسيكية للكلمة المروية التى كانت تكتب Kdke او Ktke بمعنى أن حرفى nd فى الاغريقية يقابلان الحرف d r فى المروية ، وهذا ظاهر ايضا فى كتابة اسم المعبود المروى مندوليس ، فهو فى الاغريقية يكتب Mandulis ولكنه فى الكتابة المصرية للكلمة المروية يكتب Mlwle او Mntwl او Mrwle Mtwle أى أن حرف ر فى المصرية او r أو d فى المروية يقابل حرفى nd فى الاغريقية) (٤) وصحب الملك والملكة ابنهما الأمير المتوج اكنداد Akinidad

---

(٣) Milne, op. cit., pp. 9/11; Hintze, Studien, p. 24 ff; Shinnie Meroe, pp. 47/48.

(٤) Priese, Dissertation S. 225/229, Nr. 20 Das meroitosche Sprachmaterial in den agyptischen Inschriften des Reiches von Kush.

فى عام ٢٤ ق.م ، واستطاعوا التقدم شمالا حتى بلدة دكه Pselkis Dakka بمنطقة النوبة السفلى المصرية (٥) .

وعثر على نص فى معبد دكه يحمل اسم الملك ترتقاس والملكة أمانى ريناس والامير اكنداد ، وعلى نص آخر كان الملك قد أمر بتسجيله هناك قبل قيامه بالحملة المذكورة (٦) .

وحدث بعد ذلك أن توفى الملك ترتقاس ، فتولى ابنة الأمير المتوج أكنداد قيادة الحملة المروية وبصحبته أمه الملكة الحاكمة أمانى — ريناس ، وواصل الجيش المروى المؤلف من ٣٠٫٠٠٠ (ثلاثين الف) محرب تقدمه شمالا . ومع أن ذلك الجيش لم يكن جيد التسليح الا أنه استطاع هزيمة الحامية الرومانية المكونة من ثلاث كتائب (٣ × ٦٠٠) والتى كانت ترابط على حدود مصر فى منطقة الشلال الأول ، وتمكن المرويون فعلا من فتح فيلاى وجزيرة انفيلة (الفنتين) واسوان نفسها ، وكانت تلك البقعة كعبة للمصريين والمرويين . وكانت رسل ملوك مروى تصل اليها سنويا محملة بالهدايا للمعبودة ايزيس ، التى كانت ترمز الى الأمومة والى الخير والجمال ، وتعتبر رمزا للسماء ، وهى التى شبهها اليونان بأفروديت والرومان بفينوس .

وحمل الجيش المروى الفاتح معه الى عودته أسرى وغنائم كثيرة ضمنها بعض تماثيل الامبراطور اغسطس التى كانت مقامة فى فيلاى ، كشاهد على انتصارهم على الرومان . والجدير بالذكر أن الحفائر التى قام بها العالم الانجليزى جارستانج Garstang فى منطقة القصر الملكى بالبجراوية حيث موقع العاصمة مروى ، كشفت عن رأس تمثال برونزى للامبراطور اغسطس ارتفاعها ٤٨٫٢٥ سم (نقلت الى المتحف البريطانى فى لندن .

---

(٥) انظر المرجع السابق لعبد اللطيف احمد على ؛ ص ٦٧ — ٦٩ ؛
Emery, Egypt in Nubia. p. 225/6.

(٦) Shinnie, Meroe. pp. 84/5; Hintze, Studien, p. 25.

وموجودة نسخة طبق الأصل بمتحف الخرطوم) . وعثر على الراس المذكور مدفونا أمام قاعدة حجرية ضخمة ، من حولها مجاز من الأعمدة فيما يشبه المظلة . ويبدو أن الأمير المتوج المروى كان قد أمر باقامه التمثال الرومانى على تلك القاعدة عند احتفاله بالنصر ، بالقرب من المعبد الكبير للاله آمون ، وغير بعيد من القصر الملكى وملحقاته . ولعل فى ذلك صدى بعيدا للتقليد الذى كان سائدا فى مصر القديمة ، وكان يقضى بأن تجمع الغنائم كلها عند أقدام المعبود آمون فى معبده الكبير بالكرنك ؛ حيث مكان القلب من العاصمة طيبة .

حينذاك أمر الأمير المتوج أكنداد بتخليد انتصاره على الرومان بنقش أخباره على لوحين كبيرين بالخط المروى (Akin I,II) ، عثر عليهما عند مدخل المعبد الصغير الذى بنى لعبادة الاله ابيس Apis فى حماداب Hammadab على بعد حوالى ثلاثة كيلو مترات الى الجنوب من البجراوية ، ثم نقل اللوح الأول (Akin. I) الى المتحف البريطانى (رقم ١٦٥٠) ويسمى فى المراجع لوح حماداب (٧) . حيث صور الملك والملكة فى اعلا اللوح أمام الآلهة ، ومن أسفلهم أسرى مقيدين بالحبال ، وقد أصاب المنظر تشويه تسبب فى زوال بعض الرسوم .

واللوح الثانى (Akin. II) قطعة من الجرانيت للملك نفسه عثر عليه فى ذات المنطقة على يمين مدخل المعبد الصغير ونقل الى متحف الخرطوم ، ويتناول هذا اللوح أيضا موضوعا تاريخيا . ويتألف النص من ٣٥ سطرا من الكتابة المروية المبسطة ، ويمكن أن نتبين من الجزء العلوى من اللوحة آثار تقديم قرابين (٨) .

---

(٧) Monneret de Villard. Kush VII p. 104/110 and pl. xxvi; Hintze, KushIX. pp. 279—282.
Meroitic Newsletter, Bulletin d'informations Méroitiques, No. 2. p. 14 REM 1003.

(٨) Meroitic Newsletter, No. 3 October 1969, p. 5, REM 1039; Shinnie, Meroe, pp. 84/5.

ولم يرض الامبراطور الرومانى بما حدث ، فأمر واليه فى مصر بترونيوس بالزحف جنوبا لاستعادة ما فقده ، فخرج فى جيش مؤلف من عشرة آلاف من المشاة وثمانمائة من الفرسان ، واستطاع صد المرويين وتعقبهم حتى دكة ، ونشبت المعادنات التى جرت بين الطرفين والتى استمرت ثلاثة أيام ، قام الرومان بعدها بالاستيلاء على دكة وقصر ابريم Primis ، حيث دخل الرومان نبتة العاصمة الثانية لملكة مروى ، سنة ٢٣ ق . م . هنالك اسرع ملك مروى بتسليم أسرى الرومان واعادة الغنائم التى كان المرويون قد احضروها معهم من منطقة أسوان . حينئذ قفل الوالى الرومانى عائدا الى الاسكندرية ، بعد أن ترك حامية قوامها أربعمائة من الجنود لديهم مؤونة تكفيهم لمدة عامين . بيد ان الوالى الرومانى اضطر للعودة الى منطقة الصراع فى ابريم . بعد ان حاصرتهم القوات المروية بأعداد غفيرة ، وتمكن من فك الحصار عن الحامية الرومانية .

وهنالك اسرع الملك اكنداد وأمه الملكة الحاكمة يطلبان السلام ، وساعتها احال الوالى الرومانى رسلهما الى الامبراطور أغسطس ما بين سنتى ٢٠/٢١ ق . م ، الذى كان يقضى وقتا للراحة فى جزيرة ساموس ببحر ايجة قرب سواحل آسيا الصغرى . وبعد أن استقبل الامبراطور المبعوثين حددت شروط اتفاق حسن الجوار ، وبموجبها انسحب الرومان شمالا حتى بلدة المحرقة H.era Sykaminos التى تقع جنوبى دكة ، والتى اعتبرت أقصى نقطة للحدود الجنوبية للامبراطورية الرومانية .

وماتت الملكة أمانى ريناس ، بينما استمر ابنها الملك اكنداد فى الحكم بعض الوقت ، حيث بنى بالاشتراك مع الملكة أمانى — شخيته Amanishakhete بعض اضافات معمارية للمعبد « ت » (T) فى كوه (٩) .

---

(٩) Hintze. op. cit., p. 26; Kawa 105/106.

وتعطينا الخبيئة الذهبية التى عثر عليها المغامر الايطالى فرلينى عام ١٨٣٤م فى هرم الملكة أمانى — شخيته رقم ٦ بالجبانة الشمالية بالبجراوية والتى ترجع الى حوالى عام ٢٥ ق . م ، صورة من حياة القصور فى مروى فى ذلك الحين أيام الصراع مع الرومان . والكنز فى معظمه مكون من أساور ذهبية ثقيلة الوزن وخواتم زخارفها مصرية وهيللينية (اغريقية) وبعضها مروى الطراز . ولاجدال فى أن تلك الحلى قد صنعت فى مروى ، وانها حلى تخص الأسرة المالكة فى مروى بعضها موروث من أجيال سابقة ، وقد آل معظم هذا الكنز الى متحف برلين الشرقية ومتحف مونخ ، بعد تدخل العالم الألمانى لبسوس الذى أوصى بشرائه (١٠) .

وعلاوة على ما سبق ، فقد أمر الملك اكنداد بكتابة اسمه على جدران « معبد الشمس » بمروى بالهيروغليفية المروية (Mer. 2) (١١) .

وحول الرومان المنطقة الواقعة ما بين المحرقة وأسوان الى مجموعة من الحصون القوية ، فأقاموا معسكرات لهم فى دكة وكلابشة وقرطاسى ودبود جنوبى الشلال الأول . وبالاضافة الى تلك الحصون فانهم أقاموا معابد جديدة وأضافوا الى بعض المعابد القائمة من قبل . ولعل أهم ما بناه الرومان بالنوبة السفلى المصرية من معابد معبد كلابشة ، الذى أمر الامبراطور أغسطس أكتافيانوس باقامته على أنقاض معبد مصرى من زمن الملك المصرى أمينوفيس الثانى أضاف اليه ملوك البطالمة (١٢) .

ولا جدال فى أن بناء كلابشة بحجمه الكبير فى هذه المنطقة ، دليل على مدى اهتمام الرومان بالنوبة السفلى منذ بداية حكمهم لمصر ، ويوضح أهمية موقع كلابشة ، كمركز دينى لعبادة « مندوليس » Mandulis أحد معبودات منطقة النوبة .

وكادت الاستراتيجية الرومانية تجاه مروى تتخذ طريقا مختلفا ،

---

(١٠) والملكة أمانى شخيته هى صاحبة قصر واد بانقا .

(١١) Hintze, Studien. p. 25.

(١٢) De Meulenaere, Chronique d'Egypte xxxvi. No. 71, pp. 98–105.

وذلك عندما حاول الامبراطور الرومانى نيرون Nero (٥٤ — ٦٨م) أن يهود لغزو مملكة مروى ، فأرسل بعثتين ، ذكر أن الغرض من احداهما هو استكشاف منابع النيل حوالى سنة ٦٢ م ، اى فى عهد الملك المروى Amanitenmemide ٤٦ — ٦٢م . وورد فى التقرير أنهم شاهدوا غابات كثيفة فى جزيرة مروى واخشابا . وربما استعملت هذه الأخشاب فى صناعة الحديد . أما الثانية فكانت بغرض الاستطلاع والتجسس تمهيدا لحملة حربية حوالى سنة ٦٦م أو سنة ٦٧ م ، حين كانت الملكة Amanikhatashan ٦٢ — ٨٥م تحكم فى مروى ، ووصلت البعثتان حتى مستنقعات النيل الأبيض حيث منطقة السدود عند خط العرض ٩° شمالا تقريبا (١٢) . وذكر كذلك أن نيرون كان يستعد للوقوف فى وجه ازدياد نفوذ مملكة اكسوم الحبشية فى الجنوب الشرقى — والتى أخذت تلفت الأنظار اليها — ولكن الذى حدث أن ثورة اليهود الكبرى فى مملكة يهوذا وفى المدائن المصرية وفى منطقة برقة . اضطرت الرومان الى سحب معظم قواتهم المرابطة فى جنوب مصر لتقوم بواجبها الأساسى فى الشرق للمحافظة على كيان الامبراطورية الرومانية (١٤) .

كما أمر الامبراطور اغسطس باقامة اضافات معمارية تحمل اسمه فى دبود ودندور ودكه . ويذكر ملن (١٥) أن بعثة (رومانية : خرجت (من مصر ووجهتها مروى) سنة ١٣ ق . م لمقابلة ملكة مروى قد تركت نقوشا فى دكة وهى فى طريق عودتها : ولعله يقصد نفس البعثة التى يتحدث عنها النص الاغريقى على معبد دكة (١٦) . بوصفها بعثة مروية تحت قيادة رجل يدعى حربوقراس Harpocras ، وبعد عودة البعثة من عند القيصر اغسطس فى روما تركت نقشا فى دكة وذلك سنة ١٣ ق . م . وفى النقش يبدى

---

(١٣) J. O. Thomson, Everyman, a Classical Atlas, p. 38, 1966.

(١٤) Hintze, Civilizations. p. 26; Studien p. 70; Milne, pp. 22/23.

(١٥) Milne, p. 10.

(١٦) Shinnie, Meroe, p. 49.

المبعوث تقديره واحترامه للمعبود المحلى لدكه (١٧) .

وقد درج الملوك المرويون على ارسال المبعوثين محملين بالهدايا الثمينة الى معبد ايزيس فى فيلاى ، فى حين ترك المبعوثون نصوصا باللغات المروية أو المصرية او الاغريقية فى فيلاى ، كشاهد على بقائهم فى رحاب المعبودة ايزيس .

وفى ألقاب أصحاب اللوحات الجنائزية المروية (شواهد القبور) من خرص وكرنوج Faras, Karanog وغيرهما بالنوبة السفلى ، ما يدل على استمرار الصلات بين مروى وبين روما . حيث يرد لقب « المبعوث الى روما » ثم المبعوث الكبير الى روما . apête Ar (ê) mel is (Kar – 112). apêteḫkh Arêmelis (Rome) (Inschr. 129). ضمن ألقاب أصحاب تلك اللوحات (١٨) .

ولقد ظهر أثر تلك الصلات بين مملكة مروى وبين الرومان فى فن العمارة : فالمعبد الصغير فى النقعة المسمى « **بالكشك الرومانى** » (١٩) فيه الكثير من العناصر المعمارية الرومانية كالعقود وتيجان الأعمدة . وفى العمارة الرئيسية بمنطقة المصورات بعض من الأثر الهيلنستى والرومانى على الأخص فى طراز الأعمدة ، واتضح ان المهندس المعمارى المروى الذى ساهم فى اقامة أجزاء من العمارة الرئيسية للمعبد الكبير قد استعمل رموزا هى حروف من الأبجدية الاغريقية الى جانب المروية نحتها فى ظهر القطع الحجرية لكى تساعد ، فى انتظام ، وضع أجزاء الافريز الحجرى مكانها من العمارة .

وفى مدينة مروى فى المنطقة التى تضم القصور الملكية ومعبد آمون كشفت حفائر جارستانج عن أثر من آثار اصحاب الحضارة المروية بالحضارة الرومانية المتقدمة ، ونعنى به « الحمام الرومانى » وهو حوض عميق نسبيا مربع أو مستطيل الشكل محفور فى الأرض ملحق به قسم مستدير يشبه البئر او

---

(١٧) Hintze, Studien, p. 26.

(١٨) Hintze, Studien, p. 29.

(١٩) انظر اللوحة رقم ١٦ ؛ مع العلم أن هذه المنطقة لم تجر فيها حفائر منظمة حتى الآن .

الكشك الرومانى بالنقعة بالبطالة

المغطس ولكنه متصل بالحوض الرئيسى ولعله كان لغرض الاغتسال قبل الدخول الى الحمام ، وكانت المياه تصل اليه عن طريق قناة مبنية من الأحجار ؛ تدخل الى مبنى الحمام ثم تدور حول الحوض ، وهناك تختلط بالعطور وتسقط مياهها من خلال أفواه تماثيل للأسود ، ليتمتع بها المستحمون على أنغام الموسيقى والغناء . ويحيط بحافة الحوض أفريز من الحليات وتماثيل للموسيقيين . وكانت المياه تسحب من النيل القريب بوساطة ساقية . وقد عمل نظام لصرف مياه الحوض . والمرء أن يتخيل كيف كان الملوك وأفراد أسرهم يلجأون وقت الظهيرة الى المتعة واللهو داخل الحمام .

وضمن الرسوم البارزة التى يحف بها معبد الأسد بالنقعة (٢٠) — الذى يرجع تاريخ بنائه الى نهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادى — صور لأحد الآلهة بالمواجهة على أحد الجدران الداخلية وعليها صور الوجه كاملا ، ويظهر من طريقة الرسم الأثر الرومانى واضحا . فهو قريب الشبه بالآلهة الرومانية .

وكان للعقائد الدينية أثر كبير فى تطور العلاقات بين مملكة مروى وبين الامبراطورية الرومانية . فمع ان كل شعب منهما كانت له معبوداته الخاصة الا أن معبودة شهيرة من معبودات وادى النيل قد فرضت نفسها على الجميع ، وامتد سلطانها فى أرجاء الامبراطورية الرومانية داخل قارة أوروبا .

فالمعبودة المصرية « **ايزيس** » ربة الأمومة راعية الطفولة ، ربة السحر والشفاء أو كما يعبر عنها رسم اسمها بالهيروغليفية الالهة الأم حاضنة الاله الشرعى حورس ، قد اشترك فى تقديسها كل من المرويين والمصريين والرومان ، وأضحى معبدها الشهير فى جزيرة فيلاى على الحدود بين مصر الرومانية وبين مملكة مروى مزارا للجميع ، وكثيرا ما تركت الوفود المروية كتابات تدل عليها ، مدونة على جدران ذلك المعبد كما ذكرنا من قبل .

وكان لتقديس بعض الطوائف الرومانية **لايزيس المصرية** — المروية بعض التطورات :

---

(٢٠) انظر لوحة رقم ١٥ .

فخلال القرن الثانى قبل الميلاد انتقلت عبادة المعبودة ايزيس الى روما عاصمة الامبراطورية الرومانية نفسها بواسطة الاغريق الذين استوطنوا مصر أو احدى المناطق المجاورة لايطاليا والتى وصلتها ديانة ايزيس من قبل . ولقد ازداد عدد اتباع ايزيس وخاصة بين الفقراء ، الى درجة اضطرت معها الحكومة الرومانية سنة ١٨٦ ق . م الى اتخاذ سياسة حازمة ضد نشاط اتباع تلك العقيدة ، فأمرت بهدم معابد ايزيس القائمة فى روما ، وكذا هياكل المعبود المصرى سيرابيس ، ذلك المعبود الذى رفعه البطالمة فوق جميع الآلهة الأخرى ، محاولين بذلك التوفيق بين المصريين والاغريق فى العقائد الدينية ، فكان المفروض أن يتخيل فيه المصريون الههم القديم اوزيريس ، وأن يرى الاغريق فيه صورة الههم زيوس رب الأرباب . والجدير بالذكر أن ايزيس كانت تعتبر فى نظر تلك العقيدة زوجة المعبود ابطامى سيرابيس . وأم ثالث الثالوث حربوقراط أو حورس الطفل . وكان لطول استيطان الحضارة الهلنينية (الاغريقية) فى مصر أيام حكم البطالمة أكبر الأثر فى انتشار العقائد المصرية الى العالم الغربى فى بلاد اليونان ثم الى غيرها من البلاد التى استوطنها الاغريق أو اتصلوا بها لسبب أو لآخر (٢١) . وذلك كما حدث فى منطقة برقة وفى طرابلس على الساحل الليبى ، حيث تم الكشف عن معبدين لسيرابيس فى كل من لبده وصبراته وفى قوريني (شحات الحالية) انظر دليل « لبدة الكبرى ص ٧٨ مصلحة الآثار الليبية » .

وظلت عقيدة ايزيس فى روما بعد ذلك بين مد وجزر ، فعاصرت أيام ازدهار فى زمن الامبراطور يوليوس قيصر الى أن اعترف بها رسميا سنة ٤٣ ق . م ، وازدهرت أيضا فى سنة ٣٩م زمن الامبراطور كاليجولا ، ثم فى سنة ٦٩ م قبل اعتلاه فلافيوس مسبسيانوس عرش الامبراطورية . حينذاك بدأ العصر الذهبى لايزيس فى روما ؛ لدرجة أن صورة ايزيس فى معبدها بساحة مارس ، ظهرت على العملة التى سكها الامبراطور

---

(٢١) عبد اللطيف احمد على : مصر الرومانية فى ضوء الأوراق البردية ـ القاهرة ١٩٦٠ ص ١٤٧ وما بعدها ؛ ابراهيم نصحى « تاريخ الرومان » الجزء الثانى ١٩٧٣ منشورات الجمعة الليبية ص ٨٠٩ ـ ٨١٠ .

فسبسيانوس (٢٢) . وفى سنة ٩٤م أعاد الامبراطور دميتيان ابن الامبراطور فسبسيانوس بناء معبد ايزيس الذى دمرته النيران سنة ٨٠م . كما أقام مسلة عند مدخل المعبد زينها بالنقوش الهيروغليفية ، تحمل تخليدا لهذا العمل . ولعل أكمل معابد ايزيس فى ايطاليا أن يكون فى المدينة القديمة بمبى Pompeii فى اقليم كمبانيا الى الجنـــوب الشرقى من نابلى التى غمرتها الصخور المنصهرة التى قذف بها بركان فيزوف عند ثورته سنة ٧٩ ميلادية . وهنالك كشفت أعمال الحفر عن أجسام تكهنة ممسكين بأدوات الطقوس الخاصة بايزيس بالاضافة الى منظر ملون على الجص فوق أحد الجدران لكاهن شاب (٢٣) . وهكذا نرى أن ايزيس (معبودة وادى النيل) قد لعبت دورا لا يستهان به فى محيط العقائد الدينية فى عالم الرومان . وهذا يفسر السبب الذى من أجله أضحى معبدها فى فيلاى قرب أقصى الحـــدود الجنوبية للامبراطورية الرومانية مزارا للرومان أنفسهم أيضا .

ولم يكن معبد ايزيس فى جزيرة فيلاى هو المعبد الوحيد لايزيس الذى كان يقصده المرويون ، بل أن ايزيس قد امتد سلطانها الى مروى العاصمة ، حيث بنى لها معبد هناك (٢٤) ، نسبة المكتشف لايزيس اعتمادا على ظهور تمثالين صغيرين لها عند مدخل المعبد ، ويقع معبد ايزيس هذا الى الشمال من معبد آمون الكبير خارج مدينة مروى القديمة ، ولم يتم اكتشافه بشكل علمى كامل حتى الآن ، فلا يزال غارقا فى الرمال .

وفى مطلع هذا القرن حاول جارستانج الكشف عن جزء من المبنى ، فتبين أنه يتألف من قسمين كبيرين يتضح من شكلهما أنهما معبدان ، أحدهما يقع على مستوى أعلى من الآخر . والمبنى الذى يقع على المستوى الأعلى يتكون من بهوين للأعمدة يؤديان الى مقصورة حيث يقوم المذبح على أرضية من القيشانى (الفيانس) . وعثر فى هذا المعبد على لوحة تاريخية هامة

---

(٢٢) انظر المرجع السابق ص ١٥٣ وما بعدها .

(٢٣) Shinnie, Meroe. p. 84.

(٢٤) Who's Who in the Ancient World, Betty Radiece Penguin Books, 1973, p. 142.

خادمة بالملك ترنقاس Teriteqas وزوجته الملكة أمانى — ريناس Amanirenas وابنهما الأمير اكنداد Akinidad الذين عاشوا فى نهاية القرن الأول قبل الميلاد ، والذين تحدثت عنهم المصادر الرومانية الكلاسيكية على أنهم قادة الحملات ضد الرومان فى منطقة النوبة واسوان ، وذلك بعد احتلال الرومان لمصر بوقت قصير .

أما المبنى السفلى الذى يقع على مستوى أدنى من المبنى السابق عثر فيه على تمثالين كبيرين لملكين (أو ربما لمعبودين) ولعلهما كانا قد أقيما فى الأصل عند مدخل المعبد ، كما عثر على تمثالين صغيرين لايزيس فى هذا المبنى ، اعتبرهما جارستانج أساسا لينسب المعبد الى ايزيس ، ولكن الحفائر فى المستقبل ستوضح لنا هذه النقطة بالذات .

وفى متحف كوبنهاجن « جليبوتيك نى كارلسبرج » بالدنمارك تمثال من الحجر الرملى ارتفاعه ٢٫٢٢ مترا يحمل رقم ١٠٨٢ لأحد ملوك مروى ، عثر عليها عند الكرم الذى كان يغطى مكان المعبد ، ولعله كان يقوم عند مدخل المعبد ، والتمثال لا يحمل أى كتابة تشير الى صاحبه .

وفى « المصورات الصفراء » ظهر ايزيس على جدران معبد الأسد الذى بناه ارنخ — امانى Arnekhamani (٢٣٥ — ٢١٨ ق . م) (٢٥) . وفى المتحف البريطانى (رقم ٦٣٥٨٥) رأس تمثال برونزى لايزيس من مدينة كوه انظر LAe, I, 3, 449.

وفى « واد باقا » بنى لايزيس معبد أضاف اليه الملك نتك أمانى (٢٦)، حيث عثر العالم الألمانى لبسيوس على القاعدة الحجرية المخصصة للقارب المقدس الذى كان يحمل تمثال ايزيس (٢٧) ونقلها الى المانيا وهى محفوظة

---

(٢٥) Hintze, Die Inschriften des Lowentempels von Musawarat. Berlin 1962, Taf. IV.

(٢٦) Hintze, Inschriften 21.

(٢٧) Nubien u. Sudan in Altertum S. 34 f. Abb. 5.

حاليا فى متحف برلين الشرقية رقم ٧٢٦١ (ارتفاع القاعدة ١١٨ سم وعرضها ٨٠ سم وارتفاعها ٨٣ سم) . والقاعدة المذكورة تحمل اسم وصور كل من الملك المروى نتك ــ أمانى والملكة أمانى ــ تيرة (١٢ ق . م ــ ١٢م) اللذين صورا على جانبين متقابلين من جوانب القاعدة الحجرية ، بينما صورت الالهتان على الجانبين الآخرين ، وكل الصور ترفع أيديها لتحمل علامة السماء ومن فوقها عدد من النجوم ، يتوجها قرص الشمس وهذه القاعدة الحجرية ذات أهمية قصوى بالنسبة لفك رموز الكتابة (الأبجدية) الهيروغليفية المروية ، ذلك انه بالاضافة الى النصوص المكتوبة بالهيروغليفية المصرية على جوانبيتلك القاعدة،ورد اسما الملك والملكة بالهيروغليفيةالمصرية وبالهيروغليفية المروية ، وبمقارنة الحروف بعضها البعض أمكن التعرف على طريقة نطق بعض الحروف المروية ، ومن هذا المنطلق بدأت الأبحاث الناجحة لفك بقية رموز الكتابة المروية بوساطة العالم الانجليزى جريفث F. Griffith فى سنة ١٩١٠م .

وبعض الألواح الملكية التذكارية (وليست شواهد قبور) كانت تحمل صور الملك يقدم قربانا الى ايزيس مثل لوح الملك أمانى ــ خبالا ٦٥ ــ ٤١ ق . م . Amanikhabale الذى عثر عليه فى هيكل المعبود آمون بالبجراوية (ويحمل رقم ٥٢٢ بمتحف الخرطوم) (٢٨) . هذا وتبدأ النصوص المروية الدينية والمدون معظمها على موائد القربان وعلى الألواح الجنائزية (شواهد القبور التى عملت لكى توضع فى المقبرة) عادة باسم المعبودة ايزيس ، وكان المرويون يكتبونه ووشى Wêshe ثم يرد اسم المعبود

---

(٢٨) Meroitic Newsletter No. 3 p. 4. REM 1038 : Hintze. Civilizations, p. 27, 123, Kush IX, 1961. pp. 278-279.

وفى « بصصه » أقيم معبد مروى كشف Growfoot عن جزء منه سنة ١٩٠٧ وهناك أيضا كشف أربعة تماثيل للأسود أمام المعبد وعن خمسة تماثيل للأسود يحمل أحدها اسم الملك أمانى ــ خبالا بالهيروغليفية المروية على حافة حفير هناك قطره ٢٥٠ مترا ونقلت جميعها الى حديقة متحف الخرطوم Hintze, Kush VII, p. 178. Porter Moss V. 11, 262; Growfoot, Island of Meroe, pp. 11-18.

أوزيريس ، وكانوا يكتبونه آشورى Ashêre, Shêreyi ، وتلك النصوص فى العادة عبارة عن دعاء الى ايزيس وأوزيريس من صاحب الأثر : شاهد أو مائدة القربان) مع ذكر اسمه واسم أمه أولا ثم اسم أبيه ، ونادرا ما كان يذكر اسم الأب قبل الأم (مثل Karanog 34) ثم بعض المناصب التى تولاها فى حياته ، وتنتهى بطلب تقديم القربان فى صورة ماء زلال أو لبن وخبز طازج على روح الميت ، وأحيانا كان اللوح الواحد يخصص لشخصين : وربما لأخوين مثلا (Kar. 29) . وهناك موائد قربان تحمل صور ايزيس تقوم بتقديم القربان ومعها اله الجبانة أنوبيس .. وربما كان انوبيس يمثل الكاهن المنوط به تقديم القرابين لابسا قناعا على شكل المعبود أنوبيس الذى يتخذ رمز الحيوان ابن آوى . وقد عثر على عدد كبير من موائد القربان وشواهد القبور المروية التى تحمل نصوصا دينية موزعة على متاحف العالم ، ومعظمها محفوظ بمتحف القاهرة ، وعلى الأخص ما عثر عليه منها فى كرنوج وشبلول وعنيبه ، وفى متحف الخرطوم ، ومعظمها عثر عليه فى منطقة مروى ، وفى متحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية ومتحف برلين الشرقية والمتحف البريطانى وفى غيرها من متاحف العالم . (انظر لوحة ١٧) .

وقد قام الأستاذ هنتزا بنشر بعض موائد القربان الملكية التى عثر عليها من قبل فى منطقة أهرامات مروى واستخلص منها بعض النتائج اللغوية والتاريخية الهامة .

ويعود معظم ما نعرفه عن اللغة المروية الى تلك النصوص المدونة على موائد القربان ، وهى ذات أحجام مختلفة وكان للعامل الاجتماعى دور فى ذلك بالاضافة الى العامل المحلى .

وكانت هناك موائد قرابين غير مكتوبة أصلا ، أى لم يقصد أن تكون مكتوبة أبدا ، ولنا أن نتساءل عن نوعية أصحاب تلك الموائد ، وعن معنى كتابة النصوص من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى اليمين . وعملية تقديم القرابين المصورة على موائد القربان يمكن تقسيمها الى قسمين رئيسيين :

مائدة قربان مروية من قسطل

١ ــ تقديم قربان سائل ، عبارة عن لبن فى اناء له رسم خاص من ناحية الشكل والمقبض ، وطريقة التقديم لها وضع خاص أيضا فيما يتعلق بوضع المرفق والساعد ، أو تقديم الماء الزلال كما هو واضح من النصوص .

٢ ــ تقديم أربعة أو ثمانية أرغفة مستديرة فى فراغ المائدة المتبقى من رسم المجرى .

٣ ـ نهاية مملكة مروى

والمؤرخ فى سعيه للبحث عن مصادر لتاريخ الحضارة المروية اذا قصرت المصادر المروية نفسها بسبب ندرة أعمال الكشف عن التراث السودانى ـ يلجأ الى التراث الحضارى للدول الأخرى المجاورة لمملكة مروى والتى كانت لها علاقات معها لمعرفة شىء مؤكد عن الأيام الأخيرة لأصحاب الحضارة المروية.

وقد استرعى انتباه المؤرخين لتاريخ السودان القديم لوح الملك « عيزنا » ملك مملكة اكسوم فى الحبشة ـ والنص مكتوب بالاثيوبية القديمة التى يطلق عليها جعز Geez ويوجد منه نسخة بالاغريقية ـ لما جاء فيه من معلومات قيمة تشير الى تلك الأيام الأخيرة من عمر الحضارة المروية (١) :

فالملك عيزانا ملك اكسوم يدعى سيطرته على سبأ وحمير فى جنوب شبه الجزيرة العربية ثم ريدان Raidan ومنطقة سيامو جنوبى اكسوم ، ومنطقة البجا ، وهى المنطقة التى تقع فى الصحراء الى الشمال الغربى من اكسوم ، بالاضافة الى سيطرته على كاس = كوش أى مملكة مروى كما يسميها المؤرخون . وقد حكم عيزانا ما بين ٣١٧ ـ ٣٤٢م طبقا لرأى كمارير Kammerer وما بين سنتى ٣٢٥ و ٣٧٥م طبقا لرأى لتمان Littman ، ويمكن أن نقول ان حملة عيزانا على مناطق الحضارة المروية وقعت حوالى سنة ٣٢٥م . وكانت حملة عيزانا موجهة أساسا ضد توسع النوبا بعد أن فشلت المحاولات فى سبيل التعايش معهم ، وبعد أن تمركزوا حول النيل الأزرق . وكان فرع من فروع النوبا قد أخضع من قبل المناطق الواقعة الى الشمال من نهر عطبرة فى وادى النيل بما فى ذلك مدنا مروية ، وربما بلغوا فى توسعهم شمالا حتى الشلال الرابع ، وهؤلاء من نطلق عليهم النوبة

---

(١) L. P. Kirwan. The Decline and Fall of Meroe, Kush VIII, p. 163 ff.

الحمر . والجدير بالذكر أن هذه هى المرة الأخيرة التى يذكر فيها اسم كوش (أى مملكة مروى) فى الوثائق التاريخية لذلك العصر .

ومن خلال وصف الملك عيزانا لحملته على جيرانه السودانيين — النوبا وكاسو — Noba, Kasu فى الغرب ، يتضح أن الصورة هناك قد تغيرت كثيرا ، فلم تعد منطقة الحضارة المروية القديمة وقفا على الشعب المروى (كاسو — كاشو — كوش) فحسب ، وانما ظهر عنصر بشرى جديد فى المنطقة ، يتمثل فى القبائل النوبية Noba التى استغلت ضعف المملكة المروية ، وبدأت تتجمع تدريجا فى مناطق الحضارة المروية ، بعد أن رحلت عن مواطنها الأصلية فى كردفان . وكان ضعف مملكة مروى نتيجة عوامل كثيرة اهمها الصراع مع مملكة اكسوم . فمن النصوص نعلم أن الملك عيزانا ادعى ملك كوش (أى مملكة مروى) ، ربما من قبل أن يقوم بعمليته لضرب النوبيين، الذين تزعموا الثورات والتحرش بمملكة اكسوم لسنوات طويلة ، كما هو واضح من كلام الملك . معنى ذلك أن النوبيين كانوا قد سيطروا على مملكة مروى منذ عدة سنوات .

ومملكة اكسوم الحبشية التى قامت فى الجزء الشمالى للمرتفعات الاثيوبية نتيجة هجرة من جنوبى شبه الجزيرة العربية تشمل السبئيين على الأرجح فى أواخر الألف الأخيرة قبل ميلاد المسيح ، أصبحت فى بداية القرن الأول الميلادى مركزا تجاريا متقدما . بل أن عاصمتها اكسوم تطورت لتصبح اكبر سوق لتجارة العاج فى شمال شرق افريقيا ، وانتشرت فيها المعابد والقصور والتماثيل والآثار التذكارية الأخرى كاللوحات الشاهقة ، وكان لعبادة القمر — التى انتقلت الى اكسوم من سبأ — شأن كبير قبل دخول المسيحية الى اكسوم . وتبادلت اكسوم التجارة مع الاسكندرية أكبر موانى البحر المتوسط حينذاك . وكانت أدوليس Adulis هى ميناء اكسوم على البحر الأحمر ، واخذت تنافس مروى فى اجتذاب التجارة الافريقية والسيطرة على طرق التجارة الخارجية . ومن الطبيعى ان نفترض وجود علاقات متنوعة بين مروى واكسوم بحكم الجوار تارة ، وبسبب التنافس للسيطرة على تجارة افريقيا تارة أخرى ، ومن أجل ذلك ، علينا أن نعيد النظر فيما تحت

ايدينا من وثائق قليلة يمكن أن تنبئنا بوجود علاقات بين كل من الحضـــارتين الافريقيتين :

١ ــ وفى جبل قيلى Jebel Qeili بمنطقة البطانة نقش صـــخرى يصور انتصارا للملك المروى شركارير Sherkarer (٦ ــ ١١م) وهو الابن الثالث لملك ننك ــ أمانى (انظر Arkell, History, p. 168) على أعداء ، يعتقد الأستاذ هنتزا أنهم من اكسوم (٢) . وفى « جبل قيلى » بالاضافة الى ما ذكر ، نقش صخرى آخر يمثل ملكة مروية وأمير (؟) يقفان أمام اله برأس الكبش سمله آمون وآلهة اخرى .

والنقش التذكارى الأول مسجل على صخرة جرانيتية عند سفح جبل قيلى J. Qeili بطريقة الحفر السطحى ، ويغطى مساحة ٢٫٧٠×٣٫٧٠ مترا ويتكون من أربعة عناصر رئيسية :

(أ) الملك شركارير يقف ، ملتحيا ، بكامل زينته ، واسلحته « القوس والسهام والحربة » فى يده اليمنى ويتقبل الأسرى من :

(ب) صورة لأحد الآلهة بالمواجهة تتكون من وجه مستدير وحوله هالة كقرص الشمس يخرج منه ما يشبه الأشعة بعدد ١٢ شعاعا ويدان ، اليمنى تمتد للملك بحزمة من الذرة يقدمها اليه ، واليسرى تمسك بحبل تتجمع فيه سبعة أحبال يقيد كل منها أسيرا ، يقدمهم الاله للملك الذى يمسك طرف الحبل بيده اليمنى علاوة على أسلحته . وصورة الاله تستحق الدراسة حقا ، فلم يظهر منه الا الراس والكتفين والذراعين ، بمعنى ان الرسام لم يظهر منه غير ذلك .

(جـ) وتحت اقدام الملك صورة لأربعة أسرى مكتوفى الذراعين والساقين .

---

(٢) Hintze, Preliminary Report of the Butana Expendition, 1958 Kush VII (1959) p. 189 ff. fig. 2; Porter–Moss VII p. 272.

(د) وفى مستوى اقدام الملك وأسفل صورة الاله صور لسبعة أسرى عرايا او شبه عرايا ، كأنهم يسبحون فى الهواء فى أوضاع فيها صدق الاخراج . وغطاء الراس للأسرى بقمته المدببة ملفت للنظر .

ومن فوق صورة الملك خرطوشان (اى بيضاويان خصصا لكتابة اسم الملك ولقبه) . الخرطوش الأيسر يحتوى على اسم الملك شركارير Sherkarer بالهيروغليفية المروية ، والآخر يحتوى على الاسم الثانى أو أحد القاب الملك ، ويقرأ « من — شلخه » ، والمؤرخ يتصور وقوع معركة فى جبل قيلى بين مهاجمين من الشرق وبين جيش الملك المروى شركارير فى مطلع القرن الأول الميلادى . وهناك احتمال كبير أن المهاجمين من اكسوم .

ومما هو جدير بالذكر أن جبل قيلى يقع غير بعيد من الطريق الموصل بين الخرطوم بحرى وكسلا .

٢ — تحدثنا فى مكان آخر من هذا البحث عن بعثة استطلاعية أرسلها الامبراطور نيرون (٥٤ — ٦٨م) الى مملكة مروى ، وقلنا انه ربما كان ينوى مستقبلا ضم مملكة مروى الى الامبراطورية الرومانية ، ولكن الأحداث الدولية شغلته عن تحقيق ذلك الهدف . وهل يمكن أن نضيف أن نيرون كان يبغى من وراء ذلك الى الحد من ازدياد نفوذ مملكة اكسوم واحتمال تهديدها للحدود الجنوبية وللتجارة الخارجية للامبراطورية الرومانية ؟ .

٣ — وفيما يتعلق بحملات حربية شنتها اكسوم ضد مروى قبل زمن الملك عيزانا الأكسومى فهناك مصدران :

(أ) نص اغريقى على لوح من حجر البازلت عثر سايس Sayce على قطعة منه فى مروى تحمل رقم ٥٠٨ بمتحف الخرطوم ، وهو تخليد لانتصار أحد ملوك اكسوم قبل عيزانا على القوات المروية ، حيث ان النص يذكر الاله الوثنى آرس Ares (٣) . ولم يذكر الديباجة المعتادة للملك

---

(٣) وهو اله الحرب عند الاغريق ، ويتساوى مع المعبود هادس اله الحرب عند الرومان .

ميزانا المسيحى (٤) .

(ب) نص اغريقى نقل جزءا منه فى القرن السادس الميلادى الراهب المصرى (الطبوغرافى) كسماس Cosmas Indicopleustes فى أدوليس Adulis يرد فيه اسم مروى . ويحتمل أن النص يرجع الى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى (٥) .

٤ — ولا نريد أن نطلق الكلام دون دليل ، ونذهب الى ما ذهب اليه بازل دافيدسن من أن الصراع بين مملكة مروى بين مملكة اكسوم قد بدأ منذ أيام الملك حورسيوتف (٤٠٤ — ٣٦٩ ق . م) والملك نستاسن (٣٣٥ — ٣١٥ ق.م) ، (أنظر بازل دافيدسن ، افريقيا تحت أضواء جديدة ص.٢٩٠ ترجمة جمال أحمد) .

ذلك أن الأمر يحتاج الى مزيد من البحث والدراسة . كذلك الحال بالنسبة لما ورد فى وثائق الدولة الحديثة المصرية عن الاتصال بشعب بنط ، وهل كان جزءا من الشعوب التى سكنت المرتفعات الشمالية لاثيوبيا (ارتيريا) .

٥ — وفى كتاب « دليل الملاحة فى البحر الأحمر » المسمى باختصار Periplus والذى كتبه بحار اغريقى مجهول فى القرن الأول الميلادى ، ما يفيد أن اكسوم كانت حلقة الوصل فى تجارة العاج ما بين مينائها أدوليس Adulis على شاطىء البحر الأحمر وبين المناطق الواقعة على الجانب الآخر من النيل (٦) . ويتصل بتجارة العاج أيضا تجارة الفيلة المدربة على القتال .

---

(٤) Hintze. Studien. S. 31.

(٥) هناك يذكر كروان المرجع : Kirwan. op. cit., p. 171;

(٦) McCrindle, The Christian Topography of Cosmas. p. 65 f. ; Emery, op. cit., p. 172.

٦ ــ دخل الدين المسيحى الى اكسوم منذ حكم الملك عيزنا اى فى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى بينما لم يصبح هذا الدين رسميا فى السودان الا فى منتصف القرن السادس الميلادى ، وعن غير طريق اكسوم ، أى عن طريق مصر وبيزنطة مباشرة .

كان ذلك موجزا للدور الذى لعبته مملكة اكسوم واسهمت به فى افول شمس الدولة المروية .

أما العوامل الأخرى التى تسببت فى القضاء على الحضارة المروية فى السودان الشمالى فأهمها : انه فى زمن الامبراطور دقلديانوس Diocletain ٢٨٤ ــ ٣٠٥م قرر الرومان الانسحاب من منطقة النوبة السفلى سنة ٢٩٧م وسمحوا لقبائل البلميين بالاستيطان فى المنطقة ، حتى تكون بمثابة حاجز يحمى حدود مصر الرومانية من الهجمات المتكررة للنوبيين ، الذين أخذوا فى الاستيطان التدريجى فى مناطق نفوذ الحضارة المروية ، وتسببوا أخيرا فى القضاء على مملكة مروى .

وكان من نتيجة استيطان البلميين فى النوبة السفلى أن أغلق الطريق كلية فى وجه أية علاقات مروية مع مصر ، فزادت عزلة مملكة مروى عن غيرها من ممالك العالم القديم . ويربط « كيروان » تلك العزلة بحقيقة أن آخر نص ديموطيقى (مصرى) لملك مروى فى فيلاى جنوبى اسوان حيث معبد ايزيس يرجع الى المدة ما بين ٢٦٥ ــ ٢٢٦ م. ولا شك أن الجفاف الذى اصاب المنطقة قد أدى الى القضاء على الأشجار والخضرة وجعل حياة السكان شاقة مما عجل بنهاية الدولة المروية .

فالنص مؤرخ بالعام الثالث للامبراطور الرومانى تربونيانوس جاللوس Trebonianus Gallus ، حين ارسل الملك المروى تقردمانى Teqeridamani رسله الى الامبراطور الرومانى حاملين الهدايا ، وكانت البعثة بقيادة المدعو

---

(٧) Graffiti, Ph. 416 and Ph. 68, Hintze Studien S. 21 and S. 29.

Pasmun بن Paese (٧) ؛ وجدير بالذكر أن هذا النص هو الذى ساعدنا فى تحديد فترة حكم الملك المروى تقرد أمانى ٢٤٦ — ٢٦٦م بالنسبة لسابق معرفتنا لمدة حكم الامبراطور الرومانى تربونيانوس جاللوس (٨) .

ويعتقد أن سبب ارسال تلك البعثة المروية كان لطلب المساعدة الرومانية ضد قبائل « النوبا » Noba ، الذين كانوا يهددون مملكة مروى ، والذين تسببوا أخيرا فى اسقاطها . وكان آخر موطن لهم قبل أن يهبطوا الى الوادى هو بيوضة ، ذلك أنهم كانوا قد تأثروا فعلا بالحضارة المروية قبل وصولهم الى وادى النيل ، وقد استطاعوا الوصول الى الوادى عن طريق دنقلة بدون صعوبة . كما ساعدوا أيضا بطريق غير مباشر فى استقلال قبائل البلميين ، بعد أن استغلوا فرصة ضعف الحكومة المركزية فى مروى .

(٨) Milne, p. 70; Emery, Egypt in Nubia, p. 233.